

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سلسلة بيت المقدس للدراسات

العدد الخامس عشر

كل الحق
محفظة



aqsaonline@aqsaonline.org





سلسلة بيت المقدس للدراسات

نصف سنوية - تصدر عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية
العدد الخامس عشر (ربيع الأول ١٤٣٤هـ - يناير ٢٠١٣م)
رقم الإيداع: (٢٠٠٨/١٢٩٨٨)
إيداع دار الكتب والوثائق القومية في مصر (١٢٩٩٨)

مكاتب مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

غزة - الرمال - برج ذو النورين - طابق ٦ هاتف: +٩٧٠٨٢٨٦١٦٥٤
جوال: +٩٧٠٥٩٧٩٩٤٦٨٨ / فاكس: +٩٧٠٨٢٠٧٩٦٩٦ /
maqdes192009@hotmail.com

فلسطين

لبنان - صيدا - ساحة القدس - عزام بلازا - الطابق الأول
محمول: +٩٦١١٧٧٥٤٧٨٩ - هاتف: +٩٦١١٣٥٦٦٠٧٠ / فاكس: +٩٦١١٧٧٥٤٧٨٩
muqdes_saida@hotmail.com

لبنان

القاهرة - مدينة نصر - الجي العاشر - هاتف: +٢٠٢٤٧٢٤٦٥٦ - محمول: +٢٠١٠٠٩٣٦٦٠١
للدراسة: مكتب بريد الجي العاشر - رقم بريدي: ١١٥٢٨ - ص.ب. ٣٩
aqसानa.cairo@yahoo.com

مصر

صنعاء - الاصبحي - شارع الحرابي - قرب محطة بتروال الاصبحي
هاتف: +٩٦٧٦٧٣٨٤٨ - الجوال: +٩٦٧٧١١٣٠٨٢٩ - حساب: +٩٦٧٧١٣٤٨٩٣١٧
aqसानana@yahoo.com

اليمن

موقع المركز على الإنترنت: www.aqsaonline.org
البريد الإلكتروني: aqsaonline@aqsaonline.org

القاهرة: رقم الحساب: بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة الرئيسي - رقم حساب ٢٦١٣٨٢
صنعاء: بنك التضامن الإسلامي الدولي - فرع صنعاء الرئيسي - رقم حساب ٤٨٣٤١ - ١٠١ -
لبنان - صيدا - وقف مركز بيت المقدس بنك البركة - رقم الحساب: ١٠٣٠١٧ - ٠٠١

رئيس مجلس إدارة المركز
جهاد العايش

الإشراف العام
د. عيسى القدومي

هيئة التحرير

م. مبتسم أحمد

د. مراد أبو هلاله

د. نايف فارس



المراسلات

ترسل باسم المشرف العام لسلسلة بيت المقدس
للدراسات على البريد الإلكتروني للمركز:

Correspondences Should be addressed to:
The General supervisor of Bait AlMagdes series
editor@aqsaonline.info

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

قبرص - نيقوسيا

عنوان المركز على شبكة الإنترنت

www.aqsaonline.org

البريد الإلكتروني

aqsaonline@aqsaonline.org

Country	Copy Price	سعر النسخة	الدولة
Palestine	1.5 Dinars	١,٥ دينار	فلسطين
Jordan	1.5 Dinars	١,٥ دينار	الأردن
Yemen	200 Real	٢٠٠ ريال	اليمن
Saudi Arabia	10 Real	١٠ ريال	السعودية
Bahrain	1 Dinar	١ دينار	البحرين
Qatar	10 Real	١٠ ريال	قطر
Oman	1 Real	١ ريال	عمان
UAE	10 Dirhams	١٠ دراهم	الإمارات
Egypt	5 Pounds	٥ جنيهات	مصر
Kuwait	750 Fils	٧٥٠ فلساً	الكويت

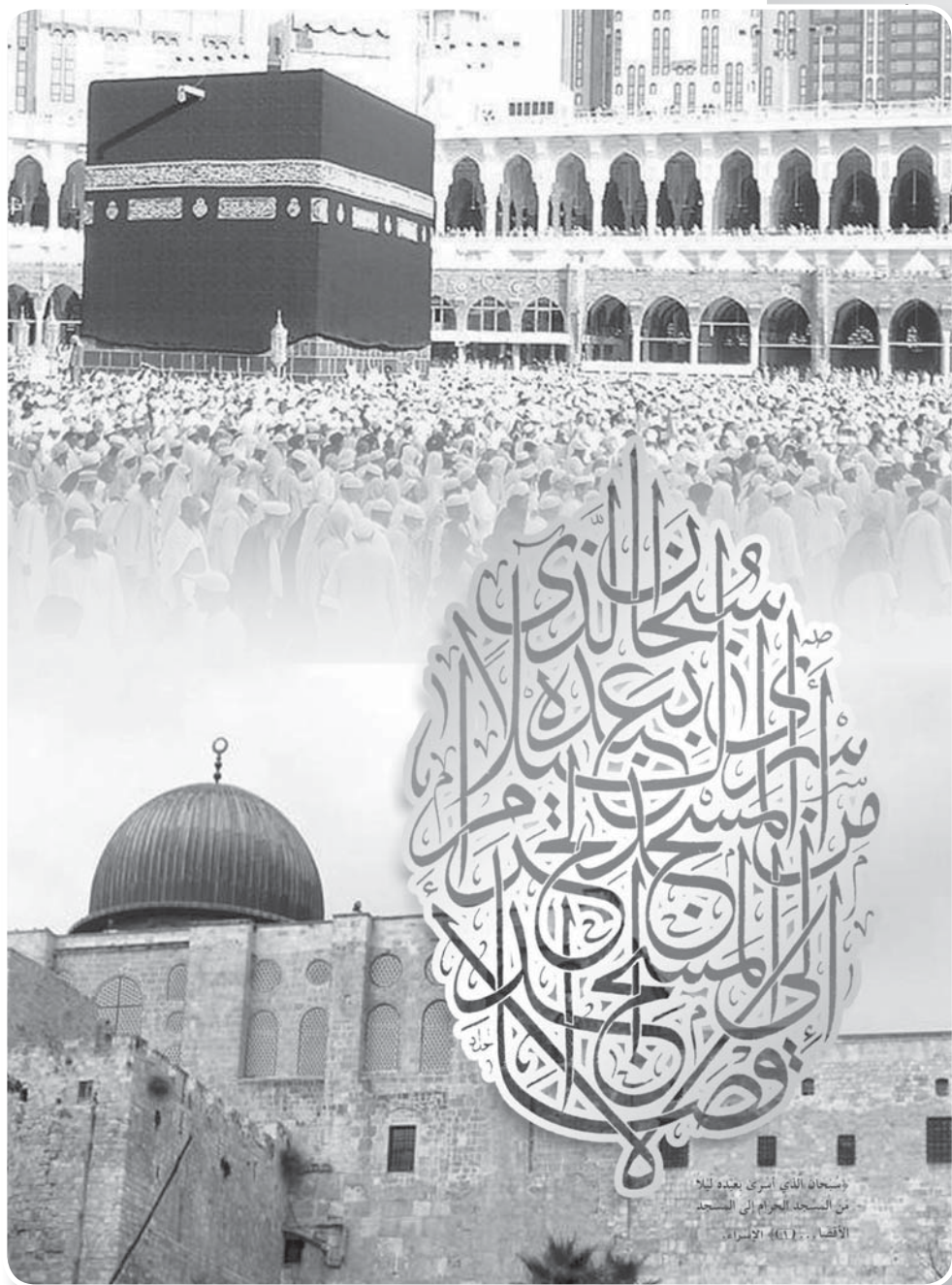
• الدول الأجنبية: بما يعادل ١٥ ريال سعودي تشمل أجور البريد للنسخة الواحدة.



فهرس الموضوعات

العدد
الخامس عشر

٨	المشرف العام	• كلمة العدد : ضريبة الشتات
١٢	أ.د. نافذ حماد	• مكانة المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية
٥٠	د. عيسى القدومي	• نكبتنا في سرقة كتبنا
٦٠	م. أيمن الشعبان	• الأسرى الفلسطينيون بين المناصرة والمتاجرة!
٨٤	أ. جهاد العايش	• الصراع مع اليهود وأثره في العلاقة مع الغرب (٢/١)
١١٨	د. نايف فارس	• من أعلام فلسطين: الحافظ المحدث سليمان بن أحمد الطبراني
١٤٠	م. مبتسم الأحمد	• قراءة في كتاب: نابلس عش العلماء وموطن الأصفياء
١٤٨	لجنة البحث العلمي	• صدر حديثاً: موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة



«سجده الذي أشركي بعدو ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى... (٧١)» الإسراء

سلسلة بيت المقدس للدراسات



كلمة العدد

• المشرف العام

خريبة الشتات



ضريبة الشتات التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات اللجوء باهظة الثمن، فمع أي حدث سياسي أو عسكري في الدول العربية ولاسيما دول الطوق حول فلسطين تُسال الدماء الفلسطينية، سواء اعتزلوا أم شاركوا في تلك الأحداث والمتغيرات. فمن أيلول الأسود في الأردن، والحرب الأهلية في لبنان، إلى مجازر منظمة أمل الشيعية، مروراً بمجازر النصيرية للمخيمات الفلسطينية في لبنان، ثم احتلال العراق وما تبعه من قتل وتشريد لفلسطينيي العراق، أحداث شاهدة على مأساة مستمرة.

وها نحن نعيش فصلاً جديداً لمأساة جديدة للفلسطينيين في مخيمات سوريا، وجيش الإجرام والعدوان في سوريا يخوض حرباً ضروساً وكأن السيطرة على دمشق وتحريرها لا يتم إلا عبر تدمير مخيم اليرموك وتشريد أهله، وتُقدر أعداد القتلى في المخيمات الفلسطينية في سوريا بأكثر من ١٠٠٠ قتيل وآلاف عدة من الجرحى، وأكثر من ٣٥ ألف معتقل فلسطيني لدى الأجهزة الأمنية السورية؛ حيث يصل إجمالي عدد الفلسطينيين في مخيمات سوريا للاجئين الفلسطينيين إلى ٥٨٠ ألفاً معظمهم في اليرموك.

ومع ضيق المخيمات في لبنان، إلا أن الكثير من اللاجئين الفلسطينيين هربوا من مخيماتهم في سوريا والتجأوا إلى المخيمات الفلسطينية في لبنان، مع سوء حالة تلك المخيمات المأساوية، شتات يذكرهم بشتاتهم الأولى من أرضهم وتاريخهم في فلسطين، وما زالت المخيمات الفلسطينية في سوريا تلملم جراحها وتدفن موتاهها.

وقد عملت الفصائل الفلسطينية لتحييد المخيمات الفلسطينية، وتجنّب إقحام أبناء الشعب الفلسطيني في الأزمة في سوريا أو لبنان أو

نعيش

فصلاً

جديداً

لمأساة

جديدة

للفلسطينيين

في مخيمات

سوريا

غيرهما من الدول، إلا أن هنالك مخططات خفية تستهدف اللاجئيين الفلسطينيين بكافة السبل والوسائل المرعبة، تمهيداً لطردهم من مخيماتهم في سوريا، فمنذ بداية الثورة في سوريا، خرج علينا المتحدثون الرسميون باسم الحكومة ليتهموا الفلسطينيين في المخيمات بأنهم وراء ذلك الحراك، ليجر الفلسطينيين إلى معركة الأنظمة الظالمة مع شعوبها .

وبدت المحاولات التي تبذلها أطراف خارجية وعصابات مأجورة واضحة الأهداف في سعيها لجر المخيمات الفلسطينية إلى المزيد من المواجهات المسلحة في ظل الوضع القائم في سوريا، من أجل طرد مخيمات اللاجئيين، ولا شك أن المستفيد الأول من الأحداث الضاربة للمخيمات الفلسطينية هو الاحتلال الصهيوني الذي يسعى لإلغاء تلك المخيمات وما يتبعها من حق العودة إلى وطنهم الأم فلسطين المحتلة.

لا شك أن اللاجئيين الفلسطينيين ومخيماتهم هم أضعف حلقة في مكونات الدول التي يقطنونها، فلا ميليشيات تحميهم، ولا قوى سياسية تنادي باسمهم ولا حضور على الأرض مع غياب شبه كامل لممثلهم دولياً؛ الأمر الذي يسهل مخطط ذبحهم والاستفراد بهم دون أن ينتصر أحد لدمهم - كما حدث لهم مؤخراً في العراق - لذا نقول: إذا لم يتم حل مشكل الإخوة الفلسطينيين في المخيمات من الإبادة التي يتعرضون لها وإنقاذهم من المأساة، فإن مخطط اليهود سيتحقق بإزالة المخيمات - التي هي شاهدة على مأساة احتلال أرض وتشريد شعب - بقتلهم وتشريدهم.

هنالك
مخططات
خفية
تستهدف
اللاجئين
الفلسطينيين
بكافة
السبل

فما يعانيه الفلسطينيون في العراق وسوريا لا يقل وحشية وظلماً عما يعانيه أهلهم في مخيمات قطاع غزة ورفح وخان يونس وبيت حانون وجنين وبلاطة وغيرها بأيدي اليهود الغاصبين، فالجرمون

في سوريا والعراق الذين أباحوا الدم الفلسطيني ليسوا بيهود، وإن كانوا يفعلون فعلهم، فهي ميليشيا تتكلم بلساننا ولكن الطائفية أوصلتهم إلى إباحة الدماء والأعراض، كما أباحوها في السابق في لبنان.

المطلوب الآن حقن دماء الفلسطينيين في مخيمات سوريا وبالأخص مخيم اليرموك والمسؤولية الأولى تقع على مؤسسات المجتمع الدولي وبالأخص وكالة غوث اللاجئين (الأونروا)، فهي تتحمل المسؤولية القانونية والتاريخية عن هؤلاء اللاجئين في شتاتهم سواء بقوا في سوريا أم نزحوا إلى الدول المجاورة كالأردن ولبنان والعراق وتركيا، والمجتمع الدولي مسؤول بداية عن تشردهم الأول من فلسطين، وما لحق بهم في مخيمات الشتات، منذ ٦٤ عاماً وإلى الآن.

ومطلوب دور جاد للجامعة العربية، والتحرك المباشر لوقف استهداف الفلسطينيين في المخيمات، وعقد جلسة طارئة لمناقشة أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وكيف

يمكن حمايتهم أو إخلاؤهم أو ضمان عدم مواصلة العدوان عليهم. ومطالبتنا بحقن دماء أبناء المخيمات، سبقتها مطالبة بحقن دماء إخواننا السوريين الذين تقف مع مطالبهم العادلة، نسأل الله تعالى أن يحقن دماء المسلمين على أرض سوريا وأن يزيل الظلم والظالمين عن بلاد الشام.

د. عيسى القدومي

المطلوب
حقن
دماء
الفلسطينيين
في مخيمات
سوريا
وبالأخص
مخيم
اليرموك

سلسلة بيت المقدس للدراسات



مكانة المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية

أ.د. نافذ حماد

مكانة المسجد الأقصى وما حوله
عند شيخ الإسلام ابن تيمية





أول من أبرز مكانة المسجد الأقصى وما حوله من أرض مباركة هو الله عز وجل في كتابه العزيز، ثم رسوله محمد ﷺ بقوله وفعله، لذا فإن هذا المسجد المبارك يجب أن يكون جزءاً من عقيدة كل مسلم، ويجب ألا يهدأ للمسلم بال حتى يعود المسجد وما حوله محرراً في ظل دولة إسلامية بإذن الله تعالى، فضله وأهميته ومكانته

وقدسيته في عقل كل المسلمين الصادقين المخلصين ووجدانهم، وجزء من عقيدتهم.

وهذا البحث يوضح مدى أهمية المسجد الأقصى وما حوله عند أحد أئمة المسلمين وعلمائهم، وهو شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المتوفى (٧٢٨ هـ).

وكان اختياري لهذا الإمام؛ لأسباب متعددة، منها:

أولاً: تقدمه على كثير من علماء عصره، بل ممن سبقه ومن جاء بعده، شهد له بذلك كل منصف جالس به وسمعه، أو قرأ كتبه ورسائله العديدة.

ويكفي أن نذكر هنا قول تلميذه ابن عبد الهادي: «الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، وقريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، وعلامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قانع المبتدعين، وآخر المجتهدين، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها^(١)».

ثم نقل ابن عبد الهادي عن المعاصرين له من أقرانه وتلاميذه الكثير من الأقوال التي تدل على اعترافهم بحمله راية العلوم، وتبحره في كل الفنون، واستيعابه للسنن والآثار، وانعدام النظرير له في كثرة التصانيف، ولم ير العلماء مثله، في زمن هو زمن الذهبي والمزي وابن القيم وابن كثير وابن سيد الناس والسبكي وغيرهم كثير^(٢).

يجب
ألا يهدأ
للمسلم
بال
حتى
يعود
المسجد
وما
حوله
محرراً

ثانياً: تكلم رحمه الله في مصنفاته المتعددة، التي جمع أكثرها الكتاب الموسوم «مجموع الفتاوي» عن جوانب متعددة متعلقة بمكانة المسجد الأقصى وبيت المقدس بصفة خاصة، من استحباب زيارته والسفر إليه، وفضل قصده للعبادة والصلاة فيه، وعن بركة بلاد الشام بصفة عامة، ومناقب أهلها، وأن الطائفة المنصورة فيهم، مقررراً منهمج السلف في ذلك، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى بين ما لا يجوز قوله عن المسجد الأقصى، أو فعله فيه، وخاصة من عوام الناس، من تسميته حرماً، أو ثالث الحرمين، أو التمسح بالصخرة، أو الطواف بها، وغير ذلك مما اعتبروه من الفضائل، معتمدين على أحاديث من روايات قصاصين، ولم تثبت سنداً ولا متناً، وكذا تحذيره من النقل عن أهل الكتاب في فضائل بيت المقدس.

ثالثاً: إن أعداء الإسلام من يهود ومستشرقين اتخذوا من رسالة ابن تيمية الموسومة

«قاعدة في زيارة بيت المقدس» وسيلة للنيل من مكانة المسجد الأقصى

وبيت المقدس، ودليلاً على تهوين أمره عند المسلمين، وإثارة الشبهات

في ذلك والأكاذيب، ومن ثم إطلاق العديد منهم عبارة «القدس ليست

مقدسة عند المسلمين»^(٢)، مع أن الأمر عند ابن تيمية خلاف ما أشاعه

أولئك المغرضون، سواء أكان ذلك في رسالته تلك، أم في مجموع كتاباته.

وعلى الرغم من كل ما سبق، لم أجد من أفرد رأيه في عمل علمي.

لهذه الأسباب وغيرها أثرت المشاركة ببحثي هذا، وعنوانته «مكانة

المسجد الأقصى وما حوله عند شيخ الإسلام ابن تيمية، وجعلته في

مبحثين:

لا يجوز
تسميته
حرماً،
أو ثالث
الحرمين،
أو التمسح
بالصخرة،
أو الطواف
بها

الأول: في فضل بلاد الشام، والمسجد الأقصى عند ابن تيمية، في مطلبين:

الأول: في فضل بلاد الشام عند ابن تيمية.

والثاني: في فضل المسجد الأقصى عند ابن تيمية.

والمبحث الثاني: في البدع والتجاوزات المتعلقة بأقوال الناس وأفعالهم تجاه المسجد

الأقصى عند ابن تيمية، في مطلبين:

الأول: أقوال الناس الخاطئة المتعلقة بالمسجد الأقصى عند ابن تيمية.

والثاني: أفعال الناس الخاطئة المتعلقة بالمسجد الأقصى عند ابن تيمية.

ثم خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

هذا والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: فضل بلاد الشام، والمسجد الأقصى عند ابن تيمية

المطلب الأول: فضل بلاد الشام عند ابن تيمية:

قال رحمه الله: ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمده في تحضيض المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهبي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه، وقد جرت في ذلك فصول متعددة، ولهذه المناقب أمور^(٤).

أولاً: أرض الشام، وأهمها فلسطين، أرض مباركة في القرآن الكريم:

قال رحمه الله: وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات^(٥)، ثم أوردها، ذكر منها قول الله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾

ثبت

للشام

وأهله

مناقب

بالكتاب

والسنة

وآثار

العلماء

لَيْتَا مَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾^(٦)، ثم قال: والبركة: تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا، وكلاهما معلوم لا ريب فيه، فهذا من حيث الجملة والغالب^(٧).

وأورد الآية في موضع آخر، ثم قال: وحوله: أرض الشام. ومن الآيات الخمس التي أوردتها في الموضع نفسه قول الله سبحانه: ﴿وَبَجَيْنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾^(٨)، ثم قال: ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والفرات^(٩).

وقال كذلك: وفي القرآن أربع آيات تدل على حصول البركة في الشام^(١٠).

ثانياً: مناقب الشام وأهله في الحديث النبوي:

قال رحمه الله: وقد جاء في فضل الشام وأهله أحاديث صحيحة^(١١).

وقال أيضاً: وقد جاء في فضائل الشام وأهله أحاديث معروفة، لم يجيء مثلها في العراق وغيره من الأمصار^(١٢). ثم مثل لذلك، بقوله في الحديث الصحيح: «إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على الشام»^(١٣). ثم قال: وقوله: «اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا»^(١٤).

وأورد في الموضع نفسه أحاديث أخرى مستشهداً بها على فضل الشام. وفي موضع آخر، أورد حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

«ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض أئمة مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها...»^(١٥). ثم قال: ومهاجر إبراهيم هي الشام، وفي هذا الحديث بشرى لأصحابنا الذين هاجروا من حران^(١٦) وغيرها إلى مهاجر إبراهيم^(١٧).

البركة:
تتناول
البركة في
الدين
والبركة
في الدنيا،
وكلاهما
معلوم لا
ريب فيه

ثالثاً: الطائفة المنصورة فيهم:

فقد أورد في مواضع متعددة من كتبه الحديث الصحيح «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(١٨)، وبَيَّن رأيه صراحة أن المراد بذلك هم أهل الشام.

وجاء في رواية عند مسلم: «لا يزال أهل الغرب»^(١٩).

ومما قاله في ذلك: «والنبي ﷺ ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام»^(٢٠).

وقال أيضاً: «وأخبر أنهم بالناحية الغربية عن مكة والمدينة، وهي أرض الشام وما يليها»^(٢١)، وقال: «ثبت أنهم بالشام»^(٢٢).

وقال كذلك: «بها طائفة منصورة إلى قيام الساعة . وهم من أحق

الناس دخولا في الطائفة المنصورة بمدينته التي ذكرها النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .. والنبي ﷺ تكلم بهذا الكلام بمدينته النبوية، فغربه ما يغرب عنها وشرقه ما يشرق عنها، فإن التشريق والتغريب من الأمور النسبية، إذ كل بلد له شرق وغرب،... وكان أهل المدينة يسمون أهل الشام أهل الغرب، ويسمون أهل نجد والعراق أهل الشرق»^(٢٣).

المطلب الثاني: فضل المسجد الأقصى عند ابن تيمية:

تحدث ابن تيمية رحمه الله عن فضل المسجد الأقصى من جوانب متعددة، على النحو الآتي:

النبي ﷺ
ميز أهل
الشام
بالقيام
بأمر
الله دائماً
إلى آخر
الدهر

أولاً: زيارة المسجد الأقصى مستحبة ومن الأعمال الصالحة :

فضيلة المسجد الأقصى مع المسجد الحرام والمسجد النبوي واضحة، ومزيتها على غيرها من المساجد ظاهرة .

قال رحمه الله : والمسجد الأقصى أفضل المسجد بعد المسجد النبوي^(٢٤)، وقال : والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي ﷺ، ويليه المسجد الأقصى^(٢٥) .

وقال : ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى^(٢٦) »... واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف^(٢٧) في أي وقت شاء^(٢٨) .

وقال أيضا : « فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف من الأعمال الصالحة وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم^(٢٩) .

وقال : السفر إلى بيت المقدس على الوجه المشروع للصلاة فيه والاعتكاف فيه فإن هذا عمل صالح باتفاق المسلمين^(٣٠) .

ومع أن المسجد الأقصى يدخل فيه كل ما هو داخل الأسوار المعروفة ، إلا أن الصلاة عند ابن تيمية في المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب ، ويعرف بالقبلي أفضل دون بقية المسجد .

يقول رحمه الله : فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمى الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد^(٣١) .

زيارة

المسجد

الأقصى

مستحبة

ومن

الأعمال

الصالحة

ويقول: « والأقصى اسم للمسجد كله^(٣٢) والمستحب أن يصلى في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر لمصلى المسلمين^(٣٣) وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها عن بعض إلا ما بنى عمر لمصلى المسلمين^(٣٤) .

والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود^(٣٥) .

وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى، لكن إذا زار قبور الموتى، وسلم عليهم، وترحم عليهم، كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه فحسن، فإن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات، وإننا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمننا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم^(٣٦) .

فمن سافر إلى المسجد الحرام أو المسجد الأقصى أو مسجد الرسول صلى في مسجده وصلى في مسجد قباء وزار القبور كما مضت به سنة رسول الله ﷺ فهذا هو الذي عمل العمل الصالح، ومن أنكر هذا السفر فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل^(٣٧) .

وسليمان بناه هذا البناء وسأل ربه ثلاثا، سأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وسأله حكما يوافق حكمه، وسأله أنه لا يؤم هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له، ولهذا كان ابن عمر يأتي من الحجاز، فيدخل فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء، لتصيبه دعوة سليمان، وكان الصحابة ثم التابعون يأتون، ولا يقصدون شيئا مما حوله من البقاع^(٣٨) .

وهو هنا يشير إلى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعا،

الأقصى
اسم
للمسجد
كله
والمستحب
أن يصلى
في قبلي
المسجد
الأقصى

واللفظ للنسائي: «أن سليما بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلافا ثلاثة: سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينزهه إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطبته كيوم ولدته أمه» (٣٩).

ثانيا: يرى ابن تيمية أن صخرة بيت المقدس هي القبلة الأولى للمسلمين، لكن ذلك نسخ بالتحول إلى الكعبة المشرفة، والصلاة إليها، مما يشي بمكانة الصخرة في الإسلام.

وأيده في ذلك بعض العلماء، وخالفه آخرون بأن القبلة الأولى لبيت المقدس، وليس محمدا بالصخرة.

فلقد كان النبي ﷺ يستقبل في الصلاة بيت المقدس حوالي سبعة عشر شهرا أول الأمر، وهي

قبلة اليهود، وكان يحب التوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ

زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (٤٠).

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب، أنه قال: «صلينا مع رسول الله

ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، ثم صرفنا

نحو الكعبة» (٤١).

وفي صحيح البخاري عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس

ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل

البيت... الحديث (٤٢).

فتحول المسلمون بالتوجه في صلاتهم إلى الكعبة، فتكلم السفهاء من

الناس، وهم اليهود والمنافقون في ذلك، فأنزل الله في ذلك قرآن، قال

يرى

ابن تيمية

أن صخرة

بيت المقدس

هي القبلة

الأولى

للمسلمين

سبحانه : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٣).

فابن تيمية يؤكد في أكثر من موضع من مصنفاته على أن التوجه الأول كان للصخرة، يقول رحمه الله في ذلك: « فإذا أمرنا في أول الأمر باستقبال الصخرة ثم أمرنا ثانياً باستقبال الكعبة، كان كل من الفعلين حين أمر به داخلًا في الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين » (٤٤).

وقال : وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة (٤٥).

وربما ذكر أحيانا أن القبلة هي بيت المقدس، قال رحمه الله : فقد كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس ثم صلى إلى الكعبة (٤٦).

وقد وصف ابن تيمية اليهود بالسفهاء، وهذا وصف الله لهم، يقول رحمه الله : « وهذا كما أن الله شرع في أول الأمر استقبال بيت المقدس موافقة لأهل الكتاب، ثم إنه نسخ ذلك وأمر باستقبال الكعبة، وأخبر عن اليهود وغيرهم من السفهاء أنهم سيقولون : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، وأخبر أنهم لا يرضون عن رسول الله ﷺ حتى يتبع قبلتهم، وأخبره أنه إن اتبع أهواءهم من بعد ما جاءه العلم ماله من الله من ولي ولا نصير » (٤٧).

ويجدر التنويه هنا أن لا مزية معينة للصخرة بعد أن تحول المسلمون إلى الكعبة في صلاتهم، وليست أكثر من صخرة تقع ضمن حدود المسجد الأقصى، وتسري عليها أحكامها من مضاعفة للصلاة عندها، بل إن ابن تيمية أنكر التصرفات الخاطئة، والبدع المحدثثة التي يمارسها العوام

لامزية
معينة
للصخرة
بعد أن
تحول
المسلمون
إلى الكعبة
في صلاتهم

غالبا، المتعلقة بتعظيم الصخرة، من تمسح بها، وتقبيل لها، وطواف حولها، وتخصيص الصلاة عليها، مقررًا منهج السلف في ذلك .

قال رحمه الله : « ولم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة ولا تمسحوا بها ولا قبلوها، وقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه وصلى فيه، ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئا من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير واحد من السلف المعتبرين كعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وسفيان الثوري وغيرهم ». وذلك أن سائر بقاع المسجد لا مزية لبعضها عن بعض إلا ما بنى عمر رضي الله عنه لمصلي المسلمين^(٤٨) .

قال رحمه الله : المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر رضي الله عنه

المسجد
الأقصى
اسم لجميع
المسجد
الذي
بناه
سليمان
عليه
السلام

للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد ، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين كانوا يصلون إليها ، فأمر عمر رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها وقال لكعب : أين ترى أن نبني مصلى للمسلمين ؟ فقال : خلف الصخرة فقال : يا ابن اليهودية خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها فإن لنا صدور المساجد، ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر رضي الله عنه ، وأما الصخرة فلم يُصلَّ عندها عمر رضي الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه وعلي رضي

الله عنه ومعاوية رضي الله عنه ويزيد مروان، ثم ذكر أن عبد الملك بن مروان هو الذي بنى القبة عليها وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس . وإنكار عمر رضي الله عنه على كعب الأحرار، وقوله له : يا ابن اليهودية^(٤٩) . لأن كعبا كان من أحرار اليهود وعلمائهم فلما أشار على عمر رضي الله عنه ببناء المسجد خلف الصخرة كان ذلك تعظيما للصخرة حين يستقبلها المسلمون في الصلاة، وتعظيم الصخرة إنما هو من دين اليهود لا من دين المسلمين . وكذا رد على من قال إن اليمين تغلظ عندها ، إلى غير ذلك سيأتي مما توضيحه في المبحث الثاني لبحثي هذا إن شاء الله تعالى .

ثالثا: المسجد الأقصى هو ثاني مسجد في الأرض ، وصلت فيه الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام :

يقول رحمه الله : والمسجد الأقصى صلت فيه الأنبياء من عهد الخليل، كما في الصحيحين، عن أبي ذر، قال : «قلت يارسول الله ، أي مسجد وضع أول ؟ قال: «المسجد الحرام» . قلت : ثم أي ؟ قال : «المسجد الأقصى» . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة، ثم حيث ما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد»^(٥٠) .

- وصلى فيه من أولياء الله ما لا يحصيه إلا الله ، وسليمان بناه هذا البناء^(٥١) .

وقال: ومسجد إيليا قد كان مسجدا قبل سليمان ... ثم أورد الحديث السابق، ثم قال: فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام، لكن سليمان عليه السلام بناه بناء عظيما ، فكل من المساجد الثلاثة بناه نبي كريم. ليصلي فيه هو والناس .

فلما كانت الأنبياء عليهم السلام تقصد الصلاة في هذين المسجدين،

المسجد
الأقصى
صلت
فيه
الأنبياء
من
عهد
الخليل

شرع السفر إليهما للصلاة فيهما والعبادة، اقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وتأسيا بهم^(٥٢).
وبعد ما تكلم عن المسجد الحرام، قال: فكذلك المسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ بنى كلا
منهما رسول كريم، ودعا الناس إلى السفر إليهما للعبادة فيهما، ولم يبن أحد من الأنبياء
عليهم السلام مسجدا ودعا الناس إلى السفر للعبادة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة^(٥٣).
فكلامه رحمه الله واضح في أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى، بعد
تجديده لبناء الكعبة بأربعين عاما، وأنه كان مسجدا قبل سليمان عليه السلام وأن بناء
سليمان إنما كان تجديدا لا ابتداء، لتناول المدة بين بناء إبراهيم وسليمان عليهما
السلام.

وتصرف الإمام البخاري في صحيحه يشي بذلك، حيث أورد الحديث السابق في كتاب
أحاديث الأنبياء بعد الحديث الطويل الذي يحكي بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
للكعبة^(٥٤)، ثم أعاده بعد ذلك في الحديث عن سليمان عليه السلام^(٥٥).

المسجد

الأقصى

كان موجودا

قبل

بني إسرائيل

وقبل نزول

التوراة

بدهور

ويؤيده قول القرطبي المحدث في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص
صحيح مسلم: «إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان عليهما
السلام لما بنيا المسجدين ابتداء وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان
أسسه غيرهما^(٥٦)».

وهذا يدل على أن المسجد الأقصى كان موجودا قبل بني إسرائيل،
وقبل نزول التوراة بدهور، وقبل موسى وداود وسليمان، وهو أقدم من
الهيكل المزعوم، ويؤكد حقنا فيه، فنحن أمة الوراثة الإيمانية للأنبياء
جميعا، وفي القرآن الكريم، نحن المسلمين ورثة إبراهيم عليه السلام،
قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٥٧).

كل ذلك يدحض افتراءاتهم أن المسجد بنى على أنقاض ما يسمونه هيكل.

رابعاً: الصلاة في المسجد الأقصى تضاعف عنده بخمسائة صلاة:

يقول رحمه الله: وقد روى أحمد والنسائي وغيرهما عن النبي ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة^(٥٨)، وأما في المسجد الأقصى، فقد روي أنها بخمسين صلاة، وقيل: بخمسائة صلاة^(٥٩)، وهو أشبه^(٦٠).

ووافقه على أن الصلاة في المسجد الأقصى بخمسائة صلاة تلميذه ابن القيم^(٦١). وفي موضع آخر يطلق القول بثواب عظيم لمن صلى فيه وذلك من خلال جواب لسؤال ورد إليه، فحين سئل رحمه الله عن وقف مدرسة بيت المقدس وشرط على أهلها الصلوات الخمس فيها، فهل يصح هذا الشرط؟ وهل يجوز للمنزلين الصلوات الخمس في المسجد الأقصى دونها، ويتناولون ما قرر لهم؟ أم لا يحل تناول إلا بفعل هذا الشرط؟ فأجاب: ليس هذا شرطاً صحيحاً، يقف الاستحقاق عليه كما كان يفتي بذلك في هذه الصورة بعينها الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره من العلماء لأدلة متعددة.

ويجوز للمنزلين أن يصلوا في المسجد الأقصى الصلوات الخمس، ولا يصلوها في المدرسة، ويستحقون مع ذلك ما قرر لهم، وذلك أفضل لهم من أن يصلوا في المدرسة، والامتناع من أداء الغرض في المسجد الأقصى لأجل حل الجاري ورع فاسد، يمنع صاحبه الثواب العظيم في الصلاة في المسجد. والله أعلم^(٦٢).

والصلاة إلى بيت المقدس قبل تحولهم إلى الكعبة من الإيمان الذي لا يضيع، وذلك داخل في قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، نقله عن البراء بن عازب وغيره من السلف^(٦٣) وأن الصلاة إلى بيت المقدس في وقته كان من دين الإسلام^(٦٤).

الصلاة
في المسجد
الأقصى
تضاعف
عنده
بخمسائة
صلاة

خامساً: النبي ﷺ يصلي بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء ويوم الأنبياء فيه ، وهذا يدل على فضل الصلاة فيه، وفضيلته ﷺ على غيره من الأنبياء :

قال رحمه الله : فصلاة رسول الله ﷺ في مسجد بيت المقدس في ليلة الإسراء قد رواها مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: ربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، وذكر الحديث (٦٥) .

وقال : وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين، ولم يصل غيره (٦٦) .

وقال : والنبي ﷺ ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ، ولم يصل بمكان في غيره (٦٧) .

وقال : صلى الأنبياء خلف النبي ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس (٦٨) .

وقال : وكذلك صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث ، وأخبر به القرآن ، أخبر بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، وفي موضع آخر بصعوده

إلى السموات، فقال تعالى: ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ فأخبر هنا بمسراه ليلاً بين المسجدين ،

وأخبر أنه فعل ذلك ليريه من آياته لم يرها عموم الناس كما قال في السورة الأخرى ﴿ أَقْتَمُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ

﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ (٧٠) (٧١) .

صلى
الأنبياء
خلف
النبي ﷺ
ليلة
المعراج
ببيت
المقدس

وقال : المسجد الأقصى ... إليها مسرى نبينا ، ومنها معراجه ^(٧٢) .
 وقال : محمد حين أسرى به ، وكذلك صلواته بالأنبياء في المسجد الأقصى ، وركوبه على
 البراق ، هذا كله من خصائص الأنبياء ^(٧٣) ، وقال : وكان هذا من خصائصه ^(٧٤) .
 وأسجل هنا ذكر ابن تيمية لمعجزات النبي ﷺ ومنها إخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس ^(٧٥) .

سادسا : ترجيحه الوفاء بنذر السفر إلى المسجد الأقصى ، وأنه الأصح :
 يقول في ذلك رحمه الله : « ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة
 أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد ، ولم
 يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجبا بالشرع ،
 أما الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي
 الله عنها أن النبي ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا
 يعصه » ^(٧٦) . والسفر إلى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به ^(٧٧) .

وقال أيضا عن الوفاء بالنذر : « وهذا القول أصح » ^(٧٨) .
 ورغم هذه المكانة للمسجد الأقصى عند ابن تيمية ، إلا أن المرابطة في
 الثغور أفضل من المجاورة للأقصى وأولى ، حتى لا يستولي الكفار
 على البلاد ، ويقتلوا من المسلمين ^(٧٩) ، بل هو عنده أولى من مجاورة
 الحرميين وهذا ما عليه جمهور علماء المسلمين ، واستدل على ذلك
 بنصوص من القرآن والسنة ^(٨٠) .

وأختم بما يؤكد فضل بلاد الشام عامة والمسجد الأقصى خاصة عنده ،
 فقد قال عن بلاد الشام : وفيها المسجد الأقصى ، وفيها مبعث أنبياء
 بني إسرائيل ، وإليها هجرة إبراهيم ، وإليها مسرى نبينا ، ومنها
 معراجه ، وبها ملكه ، وعمود دينه ، وكتابه ، وطائفة منصوره من أمته ،
 وإليها المحشر والمعاد ^(٨١) .

المرابطة
 في
 الثغور
 أفضل
 من
 المجاورة
 للأقصى
 وأولى

المبحث الثاني : البدع والتجاوزات المتعلقة بأقوال الناس وأفعالهم تجاه المسجد الأقصى عند ابن تيمية

المطلب الأول : أقوال الناس الخاطئة المتعلقة بالمسجد الأقصى .

أولاً : عدم جواز تسمية المسجد الأقصى حرماً :

شاع على ألسنة كثير من الناس ^(٨٢) إطلاق لفظة حرم على المسجد الأقصى، فيقولون مثلاً : الحرم القدسي الشريف ، أو حرم القدس، ونحوها، أو يقولون : ثالث الحرمين . وهذه التسميات غير معروفة عند جمهور علماء المسلمين، ولم نجدها في مصنفاتهم، وهي عندي غير جائزة، ولا تصح والقول بها من الأخطاء الشائعة التي ينبغي أن تصحح ، بخلاف مكة والمدينة، فكلاهما حرم، وليس في الدنيا حرم إلا هذان الحرمان .

يدل عليه ما في الصحيحين، واللفظ لمسلم، من حديث عبد الله بن زيد

بن عاصم، أن رسول الله ﷺ قال : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها،

وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ... » ^(٨٣)

وما في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قوله :

« اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً، وإني حرمت المدينة » ^(٨٤)

ويجدر التنويه هنا أن التحريم يشمل مكة كلها ومنها المسجد الحرام ، ويشمل المدينة كلها، ويشمل المسجد النبوي، وليس خاصاً بالمسجدين * .

وأمر آخر، أن ما جاء في الحديث بأن إبراهيم حرم مكة والنبي ﷺ حرم

المدينة، فالمتصور من ذلك هو إظهار الحرمة، أي أن إضافة التحريم

إلى إبراهيم لمكة، لأنه هو الذي أظهر حرمتها، والتحريم إنما هو من

الله تعالى، وإضافة التحريم إلى النبي ﷺ للمدينة، لأنه هو الذي

أظهر حرمتها، والتحريم إنما هو من الله تعالى.

عدم

جواز

تسمية

المسجد

الأقصى

حرماً

وعدم جواز هذه التسميات هو ما يراه ابن تيمية ونبه عليه فقد قال : وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره إلا هذان الحرمان ، ولا يسمى غيرهما حرما ، كما يسمى الجهال ، فيقولون : حرم المقدس ، وحرم الخليل ، فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين ^(٨٥) ، وقال : وليس ببيت المقدس مكانٌ يسمى حرما ، ولا بتربة الخليل ^(٨٦) . وقال : والأقصى اسم للمسجد كله ، ولا يسمى هو ولا غيره حرما ، وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة ^(٨٧) .

ويحسن أن نذكر هنا بعض من أيده في ذلك ومنهم عبد الله بن هشام الأنصاري التوفي سنة (٧٦١ هـ) الذي قال : وما سمعته من كبار أهل البلد أنهم يقولون : (حرم القدس) فيحرمون ما أحل الله افتراء على الله ، ونعوذ بالله من الخذلان ^(٨٨) .

ولم تثبت هذه التسمية عند علماء صنفا في فضائل المسجد الأقصى ، فلما تكلم الإمام بدر الدين الزركشي عن الأحكام المتعلقة بالمسجد الأقصى لم يذكر منها شيئا في تسميته حرما ، إنما سماه المسجد الأقصى كما هو شأن بقية العلماء ^(٨٩) .

كما أن الشيخ مجير الدين الحنبلي لم يستعمل كلمة الحرم في وصف المسجد الأقصى في كتابه « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » . وكذلك الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه « الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » .

وبهذا يظهر خطأ هذه الأقوال ، ومنها ما اشتهر في الآونة في وسائل الإعلام المختلفة من قولهم : ثالث الحرمين ، ولعل التعبير الصحيح أن يقال مثلا : ثالث المسجدين المشرفين المعظمين ، أو ثالث المساجد المقدسة .

الشيخ
مجير الدين
الحنبلي لم
يستعمل
كلمة الحرم
في وصف
المسجد
الأقصى
في كتابه
« الأنس
الجليل
بتاريخ
القدس
والخليل »

ثانيا : الرد على اعتقاد خاطئ بأن اليمين تغلظ عند صخرة بيت المقدس
يرى بعض الناس قدسية الصخرة، وبالغوا في تعظيمها نظريا وعمليا، حتى قال أحدهم : إن الصخرة في المسجد الأقصى كالحجر الأسود في المسجد الحرام^(٩٠). وزعم آخر أن الدعاء عند الصخرة مقطوع بإجابته^(٩١).

ونورد هنا عبارة ابن تيمية في الرد على من قال بأن اليمين تغلظ عند الصخرة، وسيأتي مزيد بيان لموقفه مما يفعله الناس حول الصخرة للاعتقاد الخاطئ بتخصيص تعظيمها وتقديسها، وأن لها مزية معينة، بل إن الثابت للصخرة يدخل فيما ورد من فضل للمسجد الأقصى كله، لأنها جزء منه وداخلة فيه.

قال رحمه الله : وقد ذكر طائفة من متأخري الفقهاء من أصحابنا وغيره أن اليمين تغلظ ببيت المقدس بالتحليف عند الصخرة، كما تغلظ في المسجد الحرام بالتحليف بين

الركن والمقام، وكما تغلظ في مسجده ﷺ بالتحليف عند منبره، لكن

الثابت

للصخرة

يدخل

فيما ورد

من

فضل

للمسجد

الأقصى

كله

ليس لهذا أصل في كلام أحمد ولا غيره من الأئمة، بل السنة أن تغلظ اليمين فيه كما تغلظ في سائر المساجد عند المنبر، ولا تغلظ اليمين بالتحليف عند ما لم يشرع للمسلمين تعظيمه، كما لا تغلظ بالتحليف عند المشاهد ومقامات الأنبياء ونحو ذلك، ومن فعل ذلك فهو ضال مبتدع مخالف للشريعة.

وقد صنّف طائفة من الناس مصنّفات من فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التي بالشام وذكرها فيها من الآثار المنقولة عن أهل الكتاب وعمّن أخذ عنهم ما لا يحل للمسلمين أن يبنوا عليه دينهم^(٩٢).

وقال أيضا : قال أصحابنا : ومن تغليظ اليمين بالمكان : اليمين عند صخرة بيت المقدس .

وليس له أصل في كلام أحمد ولا غيره من الأئمة، بل السنة أن تغليظ اليمين فيها كتغليظها في سائر المساجد^(٩٣).

ثالثا: الرد على من قال بوجود أثر قدم النبي ﷺ على الصخرة عندما صعد عليها ليلة المعراج:

فعند حديثه عما يُظنُّ خطأ من آثار لأقدام أنبياء في أماكن مختلفة، منها دمشق والحجاز، يقول رحمه الله: ومن هذا الباب أيضا مواضع يقال إن فيها أثر النبي ﷺ أو غيرها، ويضاهي بها مقام إبراهيم الذي بمكة كما يقول الجهال في الصخرة^(٩٤). ويقول أيضا: فكيف بما يقال أنه موضع قدميه كذبا وافتراء عليه، كالموضع الذي بصخرة بيت المقدس، وغير ذلك من المقامات^(٩٥).

ويقول كذلك: وليس القدم الذي بالصخور المشهورة عند العامة قدم النبي ﷺ، ولا قدم أحد من الأنبياء عليهم السلام^(٩٦).

ليس القدم الذي بالصخور المشهورة عند العامة قدم النبي ﷺ

ويقول: وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ، وأثر عمامته، وغير ذلك، فكله كذب، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب^(٩٧).

ويرى هذا القول والاعتقاد من البدع، فيقول: دخل فيه بدع كثيرة، مثل البدع التي تفعل هنا من السماع للمكاء والتصديفة في النصف وعشر ذي الحجة ونحو ذلك، ومثل استلام بعض ما هناك من الأحجار، فإنه لا يشرع أن يستلم أحد قط إلا الركنين اليمانيين للبيت العتيق، ومثل اعتقادهم أن ذلك القدم المصنوع قدم النبي ﷺ، وظن أجهل منهم أنه قدم الله، وأشباه هذه الجهالات، فالزيارة إذا سلمت عن هذه البدع وغيرها كانت شرعية^(٩٨).

وأيده العلماء في ذلك ، منهم :

ابن القيم ، الذي قال : والقدم الذي فيها كذب موضوع ، مما عملته أيدي المزورين ، الذين يُروّجون لها ليكثر سواد الزائرين ^(٩٩) .

والسيوطي ، الذي قال : ومن ذلك مواضع يقال إن فيها أثر النبي ﷺ أو غيره ، كما يقوله الجهلة في الصخرة التي ببيت المقدس إن فيها أثراً من وطء النبي ﷺ ^(١٠٠) .
والأمر في ذلك ما قالوه ، وإنما هو اختراع ، ليحرص الناس على زيارتها .

المطلب الثاني : أفعال الناس الخاطئة المتعلقة بالمسجد الأقصى أولاً : النهي عما يحصل عند الصخرة :

اعتاد بعض الناس ممارسة أفعال وتصرفات عند الصخرة ، لا اعتقاد خاطئ بتخصيص تعظيمها وتقديسها ، ومن ذلك التمسح بها ، وتقبيلها ، والطواف حولها ، وغير ذلك مما هو من مناسك الحج ، ولا يصح فعله إلا في مكة .
وقد حذر ابن تيمية من فعل هذه التصرفات ، وارتكاب هذه المنكرات ، وأكد على عدم جواز ذلك وبدعيته ، وتحريمه ، وشاركه في ذلك المحققون من علماء المسلمين ، فالعبادات مبناهما على التوقيف والاتباع لا على هوى وابتداع .

العبادات

مبناها

على

التوقيف

والاتباع

لا على

هوى

وابتداع

وما كان هذا التحذير من الأئمة إلا لحصوله من الناس أكثرهم عوام وجاهلة ، يظنون ذلك من العبادات ، ولا زال يحصل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول الشيخ الدكتور حسام الدين عفاة المقدسي : شاهدت بأم عيني عندما كنت طالباً في المدرسة الثانوية الشرعية مجموعة من النسوة يطفن بمسجد الصخرة ، وكان ذلك في شهر رمضان ، وفي يوم جمعة ^(١٠١) .

أقول : وكم رأيت تمسح بعض الناس بالحجارة النبوية وأعمدة المسجد النبوي الرخامية للتبرك بها !!

ووصل الأمر أن سألتني أحدهم سؤالاً وجدته غريباً، وذلك قبل أكثر من ثلاثين عاماً، أيام دراستي بالمدينة النبوية، والسؤال هو : هل يكفي طوافه الأول بالحجارة النبوية بعد أن تأخر في البحث عن حقيقته المفقودة، أم أنه لا بد من إعادة الطواف !!؟، تشبيهاً بطواف الوداع للكعبة المشرفة بعد انتهاء مناسك الحج، وعند مغادرة مكة المكرمة.

وفي النهي عن ذلك، يقول ابن تيمية رحمه الله : والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام، فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة واستلام الركنتين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، وأما مسجد النبي ﷺ .

والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به ولا فيها ما يُتمسح به وما لا يُقبل، فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجارة النبي ﷺ ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، ولا بصخرة بيت المقدس، ولا بغير هؤلاء كالكعبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها، بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة .

ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة (١٠٢) .

وقال أيضاً مقررنا منهج السلف عند زيارتهم بيت المقدس : لم يصل عمر ولا المسلمون عند الصخرة ولا تمسحوا بها ولا قبلوها...، وقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان إذا أتى بيت المقدس دخل إليه، وصلى فيه ولا يقرب الصخرة ولا يأتيها، ولا يقرب شيئاً من تلك البقاع، وكذلك نقل عن غير

المسجد
الأقصى
وسائر
المساجد
فليس
فيها
ما
يطاف
به

واحد من السلف المعبرين، كعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسفيان الثوري وغيرهم، وذلك أن سائر البقاع لا مزية لبعضها عن بعض إلا ما بنى عمر لمصلى المسلمين^(١٠٣). وقال: فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي ﷺ ولا بالقبعة التي في جبل عرفات، ولا غير ذلك، وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام، ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل واليماني يستلم^(١٠٤).

وبين رحمه الله كيف بنيت القبعة على الصخرة، ومتى بدأ الناس في تعظيمها وقصدها للعبادة، فقال: كانت الصخرة مكشوفة، ولم يكن أحد من الصحابة لا ولا تهم ولا علماؤهم يخصصها بعبادة، وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان مع حكمهما على الشام، وكذلك في خلافة علي، وإن كان لم يحكم عليها، ثم كذلك في إمارة معاوية وابنه وابن ابنه، فلما كان في زمن عبد الملك، وجرى بينه وبين ابن الزبير من الفتنة ما جرى كان هو الذي بنى القبعة على الصخرة وقد قيل إن الناس كانوا يقصدون

لا يجوز

الطواف

بصخرة

بيت

المقدس

ولا بحجرة

النبي ﷺ

الحج فيجتمعون بابن الزبير أو يقصدونه بحجة الحج، فعظم عبد الملك أن الصخرة بما بناه عليها، وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف، ليكثر قصد الناس للبيت المقدس، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير، والناس على دين الملوك وظهر من ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا وصار بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها...، ولا ريب أن الخلفاء الراشدين لم يبنوا هذه القبعة، ولا كان الصحابة يعظمون الصخرة، ولا يتحرون الصلاة عندها، حتى ابن عمر مع كونه كان يأتي من الحجاز إلى المسجد الأقصى، كان لا يأتي الصخرة^(١٠٥). وقال: فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلي إليها فهو كافر مرتد يستتاب،

فإن تاب وإلا قتل، فكيف بمن يتخذها مكانا يطاق به كما يطاق بالكعبة، والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله بحال، وكذلك من قصد أن يسوق إليها غنما أو بقرا ليزبحها هناك، ويعتقد أن الأضحية فيها أفضل، وأن يحلق فيها شعره في العيد، أو أن يسافر إليها ليعرف بها عشية عرفة، فهذه الأمور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات، ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً أن هذا قرابة إلى الله فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، كما لو صلى إلى الصخرة معتقداً أن استقبالها في الصلاة قرابة كاستقبال الكعبة، ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين في مقدم المسجد الأقصى^(١٠٦). وقال: قصد إتيانه في أيام الحج هو المكروه، فإن ذلك تخصيص وقت معين بزيارة بيت المقدس، ولا خصوص لزيارته في هذا الوقت على غيره، ثم فيه أيضاً مضاهاة للحج إلى المسجد الحرام، وتشبيهه له بالكعبة، ولهذا قد أفضى إلى ما لا يشك مسلم في أنه شريعة أخرى غير شريعة الإسلام وهو ما قد يفعله بعض الضلال من الطواف بالصخرة، أو من حلق الرأس هناك، أو من قصد النسك هناك وكذلك ما يفعله بعض الضلال من الضواف بالقبة التي بجبل الرحمة بعرفات كما يطاق بالكعبة^(١٠٧).

وعلماء المسلمين يقولون بهذا إلا من شذ، وقد قال ابن القيم: كل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى^(١٠٨).

قال الشيخ ابن الحاج: وليحذر مما يفعله بعضهم من هذه البدعة المستهجنة وهو أنهم يطوفون بالصخرة كما يطوفون بالبيت العتيق^(١٠٩). ووصف السيوطي الطواف بالصخرة بأنه من فعل أهل الضلال^(١١٠). ذكر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من بدع بيت المقدس: تعظيم الصخرة بأي نوع من أنواع التعظيم، كالطواف بقبتها تشبها بالطواف بالكعبة أو التمسح بالصخرة أو تقبيلها، ونحو ذلك^(١١١).

قال
ابن القيم
: كل
حديث
في
الصخرة
فهو
كذب
مفترى

وأقول : من المعلوم عند علماء المسلمين أنه لا يشرع تقبيل أي شئ من الجمادات إلا الحجر الأسود لما ثبت في الصحيحين أن عمر قال : « والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » (١١٢) .

ثانيا : نهيهِ عما يفعله بعض المبتدعة إنشاد الغناء والضرب بالدف في المسجد الأقصى :

فأما الاجتماع في هذا الموسم - يقصد موسم الحج - لإنشاد الغناء والضرب بالدف بالمسجد الأقصى ونحوه فمن أقبح المنكرات من وجهات أخرى .
منها : فعل ذلك في المسجد الأقصى ونحوه فإن ذلك مما ينهي عنه خارج المساجد فكيف بالمسجد الأقصى .

ومنها : اتخاذ الباطل ديناً .

ومنها : فعله في الموسم (١١٣) .

ولا زالت هذه الممارسات مستمرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لا يشرع

تقبيل

أي شئ

من

الجمادات

إلا الحجر

الأسود

يقول الشيخ الدكتور حسام عفانة : اعتادت بعض فرق الصوفية القدوم إلى المسجد الأقصى بجماعات كثيرة العدد وهم يعلقون مسابح كبيرة الحجم في رقابهم ويعقدون ما يسمونه مجالس ذكر أو مديح للرسول ﷺ وبعض هؤلاء يستعملون الدفوف في إنشادهم داخل المسجد الأقصى .
كما وأن بعض فرق الإنشاد والتي يسمونها زورا وبهتانا - فرق الإنشاد الديني - ينشدون أناشيدهم باستعمال الدفوف مع رفع الأصوات ويردد عوام المصلين معهم ويتحول المسجد الأقصى إلى ما يشبه جوقة غنائية كبيرة .

وهذه المظاهر تشاهد في المسجد الأقصى عند عقد الاحتفالات التي يسمونها دينية، كما في احتفالهم بالإسراء والمعراج، والمولد النبوي، وذكرى الهجرة، وغيرها (١١٤) .

خاتمة :

وهكذا تظهر لنا المكانة العالية للمسجد الأقصى وبيت المقدس بصفة خاصة، وبلاد الشام بصفة عامة عند الإمام ابن تيمية رحمه الله .
وهذا يدحض افتراءات أعداء الله من يهود ومستشرقين ومشككين في أن الإمام ابن تيمية يُهوّن من هذه المكانة .
وإن كان رحمه الله قد حذر من بعض التجاوزات والبدع التي يعتقدها بعضهم أو يقولها أو يفعلها مما يتعلق بالمسجد الأقصى، وخاصة الصخرة الموجودة في وسطه ، فنحن معه ، وأكثر علماء المسلمين يوافقونه في ذلك .
ولا يعني ذلك أكثر من تصحيح المفاهيم الخاطئة عند بعض الناس ، مما يعتقدونه أو يتعبدون الله به .

وإن لي من توصية في ختام بحثي هذا ، فإني أدعو الباحثين ، وخاصة في العلوم الشرعية إلى مزيد اهتمام واعتناء بقضية المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وإبراز كونه قضية إسلامية ، فهو منتهى إسراء رسول الله ﷺ ، ومبتدأ معراجه إلى السماء ، وهو أحد مساجد ثلاثة، خصها الله بالبركة والتشريف، وشد الرحال إليها، ومضاعفة الأجر فيها .
أدعو الله أن يرده إلى المسلمين سليما معافى . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أدعو
الباحثين
إلى مزيد
اهتمام
واعتناء
بقضية
المسجد
الأقصى
وبيت
المقدس

• الهوامش:

- ١- طبقات علماء الحديث : محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي (٧٤٤هـ)، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ (٢٧٩/٤) ترجمة (١١٥٦).
- ٢- ولقد سطرت في ترجمته المجلدات، ونوقشت أكثر من مائتي رسالة علمية في الكشف عن جهوده في التفسير وعلومه، والحديث وقواعده، والفقه وأصوله، والعقيدة والفرق، والعلوم العقلية، وعلوم العربية، والتربية، والأخلاق، وغيرها. انظر: دليل الرسائل الجامعية في علوم شيخ الإسلام ابن تيمية: إعداد عثمان شوشان، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ٣- أمثال جولد تسهير المستشرق اليهودي المجري، وإسحاق حسون عضو معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية في مقدمة تحقيقه لكتاب فضائل بيت المقدس لأبي بكر محمد بن أحمد الواسطي، وأمنون كوهين في كتابه القدس دراسات في تاريخ المدينة، وكستر، وبوهل، وغيرهم.
- انظر: مقدمة محققي كتاب تحصيل الأنس لزائر القدس، لابن هشام الأنصاري: عيسى القدومي وخالد نواصرة، نشرة مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيقية، ١٤٣١هـ (ص ١٣ وما بعدها).
- ٤- مجموع الفتاوي (٢٧/٥٠٥).
- ٥- في سورة الأعراف، آية (١٣٧) وسورة الإسراء، آية (١)، وسورة الأنبياء آية (٧١)، آية (٨١) وسورة سبأ آية (١٨).
- ٦- سورة الإسراء، آية (١).
- ٧- مجموع الفتاوي (٢٧/٤٤).
- ٨- سورة الأنبياء، آية (٧١).
- ٩- مجموع الفتاوي (٢٧/٥٠٦). ويقصد بأرض الجزيرة والفرات، أي: العراق.
- ١٠- جامع المسائل (٢/١٠٠). وانظر مجموع الفتاوي (٢٧/٤٨). والآيات خمس كما تقدم.
- ١١- مجموع الفتاوي (٢٧/٤٨). وانظر: (١١/٤٤١).
- ١٢- جامع المسائل (٢/١٠٠).
- ١٣- أخرجه الترمذي في السنن (٤٦) كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ (٧٥) باب في فضل الشام واليمن (٣٩٥٤)، وأحمد في المسند (٣٥/٤٨٤) وابن حبان في الصحيح، رقم (٧٣٠٤) والحاكم في المستدرک (٢/٢٢٩٦١١). من طرق متعددة عن زيد بن ثابت رضي الله مرفوعا.
- وقال الترمذي: حسن أقال الألباني في الصحيحة، رقم (٥٠٣): زاد في بعض النسخ: صحيح. وصححه الحاكم والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/٦٣) والألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، لعلي بن

محمد الربيعي ص (٩)، والصحيحة، رقم (٥٠٣)، وصححه شعيب في هامش صحيح ابن حبان وهو صحيح كما قالوا.

١٤ - أخرجه البخاري في الصحيح (١٥) كتاب الاستسقاء (٢٧) باب ما قيل في الزلازل والايات (١٠٣٧) . وانظر رقم ٧٠٩٤ من طريق عبد الله بن عون عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنه مرفوعاً.

١٥ - أخرجه أبو داود في السنن، (١٥) كتاب الجهاد (٣) باب في سكنى الشام (٢٤٨٢) وأحمد في المسند (١١/٥٤١). من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو .

وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/٣٨٠): وسنده لا بأس به . وأورده الألباني في الصحيحة، برقم (٣٢٠٣) وأورد له متابع وشاهداً فانظره هناك. وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٣/١٩٤ برقم ٣٠٩١): صحيح لغيره .

١٦ - يشير بذلك لهجرة عائلته من حران حين هاجمها التتار، وهو معهم، وكان عمره حينئذ سبع سنين. وحران بلدة بين العراق والشام، على طريق الموصل، وهي الآن جنوب شرق تركيا . وانظر وصف حران وأهلها في رحلة ابن حبير ص ٢١٩ .

١٧ - مجموع الفتاوي (٢٧/٥٠٩) . وانظر: (٢٧/٤١،٤٤) .

١٨ - الحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما وأصحاب السنن مرفوعاً عن عدد من الصحابة، منهم: المغيرة بن شعبه: في صحيح البخاري: (٩٦) كتاب الاعتصام (٩) باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس برأي ولا تمثيل (٧٣١١) وصحيح مسلم: (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم (١٧١-١٧٣/١٩٢١) .

وثوبان: في صحيح مسلم: (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » (١٧٠-١٧١/١٩٢٠)، وسنن أبي داود: (٣٦) كتاب الفتن (١) باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٢)، وسنن الترمذي: (٣١) كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ (٥١) باب ما جاء في الأئمة المضلين (٢٢٢٩)، وسنن ابن ماجه: (١) المقدمة (١) باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١٠)، ومسند أحمد: (٨٨، ٧٨/٣٧) .

وقرة بن إياس: في سنن ابن ماجه: (١) المقدمة (١) باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٦) .

ومعاوية: في صحيح مسلم: (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » (١٧٤-١٧٦/١٩٢٤)، ومسند أحمد: (٢٨/١٢٨،٩٤) . وجابر بن عبد الله: في صحيح مسلم: (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » (١٧٢-١٧٤/١٩٢٣)، ومسند أحمد: (٢٣/٦٣، ٣٣٥) رضي الله تعالى عنهم بروايات متعددة، وبألفاظ متقاربة أشهرها: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم

- ولا من ناوأهم (وفي رواية : خالفهم) حتى تقوم الساعة (وفي لفظ: حتى يأتي أمر الله) وهم على ذلك» .
وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث «يقاتلون على الحق» .
- ١٩- أخرجه مسلم في صحيحه (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٧٧/١٩٢٥) من طريق داود بن أبي هند عن أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً .
- ٢٠- مجموع الفتاوي ٤/٤٤٩ .
- ٢١- جامع المسائل ٥/٢٩٦ .
- ٢٢- مجموع الفتاوي ٢٨/٤١٦ .
- ٢٣- مجموع الفتاوي ٢٨/٥٣١ .
- ٢٤- مجموع الفتاوي ٢٧/٢٥٥ .
- ٢٥- مجموع الفتاوي ٢٧/٧ .
- ٢٦- أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩) أو مسلم في صحيحه: (١٥) كتاب الحج (٩٥) باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٥١١-١٣٩٧/٥١٣) من طرق متعددة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .
- وللحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى ، أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٦) باب مسجد بيت المقدس (١١٩٧) . وانظر الأرقام: (١٨٦٤، ١٩٩٥) .
- ٢٧- مجموع الفتاوي (٥/٢٧) . وانظر: (٢٧/٢٠ ، ٣٢١) .
- ٢٨- مجموع الفتاوي (٢٦/١٥٠) .
- ٢٩- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٠) .
- ٣٠- جامع المسائل (٥/٢٩٦) .
- ٣١- مجموع الفتاوي (١١/٢٧) .
- ٣٢- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٤) .
- ٣٣- مجموع الفتاوي (٢٦/١٥٠) .
- ٣٤- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٤) .
- ٣٥- مجموع الفتاوي (١٠/٢٧) .
- ٣٦- مجموع الفتاوي (١٣/٢٧) .
- انظر: صحيح مسلم (١١) كتاب الجنائز (٣٥) باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (١٠٢) ، ١٠٣/٩٧٤) من طرق عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

وللحديث شاهد عن بريدة بن الحصيبي رضي الله عنه ، أخرجـه مسلم وغيره ، انظر : صحيح مسلم : (١١) كتاب الجنائز (٣٥) باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (١٠٤ / ٩٧٥) .

٣٧- مجموع الفتاوي (٢٧ / ٣٤٢) .

٣٨- مجموع الفتاوي (٢٧ / ٢٥٨) .

٣٩- أخرجـه النسائي في السنن ، (٨) كتاب المساجد (٦) باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه (٦٩٣) . من طريق سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبد الله بن الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو .

وأخرجـه أحمد (١١ / ٢١٩) ، وابن حبان في الصحيح ، رقم (١٦٣٣ ، ٦٤٢٠) ، والحاكم في المستدرک (٢ / ٤٣٤) ، والفسوى في المعرفة والتاريخ (٢ / ٢٩٣) . من طرق عن الأوزاعي ، عن ربيعة بن يزيد ، عن ابن الديلمي ، عن ابن عمرو .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ، قد تداوله الأئمة ، وقد احتجا بجميع رواته ، ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة .

وطريق النسائي كما نرى فيه زيادة أبي إدريس الخولاني بين ربيعة وابن الديلمي .

قال المزني في تهذيب الكمال في ترجمة ربيعة (٩ / ١٤٨) : روى عن ابن الديلمي ، وقيل بينهما أبو إدريس الخولاني .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١ / ٢٤٤) : رواه النسائي بإسناد صحيح . ومثله قال ابن حجر في فتح الباري (٦ / ٤٠٨) .

٤٠- سورة البقرة ، آية (١٤٤) .

٤١- أخرجـه البخاري في صحيحه : (٢) كتاب الإيمان (٣٠) باب الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم عند البيت (٤٠) ، وانظر رقم (٤٤٨٦) ومسلم في صحيحه : (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢) باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (١١ ، ١٢ / ٥٢٥) من طريق أبي إسحاق السبيعي ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً .

٤٢- أخرجـه البخاري في صحيحه : (٢) كتاب الإيمان (٣٠) باب الصلاة من الإيمان ، وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ يعني صلاتكم عند البيت (٤٠) .

٤٣- سورة البقرة ، آية (١٤٢) .

٤٤- مجموع الفتاوي (٣ / ٩١) .

٤٥- مجموع الفتاوي (٢٧ / ١٢) . وانظر : (٢٧ / ١١) ، واقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٣٥) .

ومن نقل عنه ذلك عكرمة والحسن البصري ، رواه بإسناده عنهما الطبري في تفسيره (٣ / ١٣٨) ، وجرم به

- كذلك ابن كثير في تفسيره (٢/١٠٩)، وأشار إلى ذلك ابن القيم في المنار المنيف (ص ٨٨).
- ٤٦- مجموع الفتاوي (٤/٣٥٨). وانظر: (٢٧/١٠).
- ٤٧- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٧٤).
- ٤٨- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٣٤).
- ٤٩- أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٧٠)، والضياء المقدسي في المختارة (١/١٤٢)، وابن كثير في مسند الفاروق (١/١٦٠). وقال: هذا حديث حسن الإسناد.
- ٥٠- أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (٩) باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً (٣٣٦٦)، و (٤٠) باب قول الله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾.. (٣٤٢٥)، ومسلم في صحيحه: (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١، ٢/٥٢٠) من طريق إبراهيم بن يزيد التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً.
- ٥١- مجموع الفتاوي (٢٧/٤٥٨).
- ٥٢- مجموع الفتاوي (٢٧/٣٥١).
- ٥٣- مجموع الفتاوي (٢٧/٣٥٢). وانظر: (٢٧/٤٢٢).
- ٥٤- مجموع الفتاوي (٢٧/٣٥١).
- ٥٥- برقم (٣٣٦٦).
- ٥٦- برقم (٣٤٥٢).
- ٥٧- سورة آل عمران، الآيتان (١٦٧، ١٦٨).
- ٥٨- أخرجه أحمد في مسنده (٢٣/٤٦)، وابن ماجه في السنن (٦/١٤٠٦). عن جابر بن عبد الله. وإسناده صحيح.
- وروى عن عدد من الصحابة، وفي مواضع متعددة من كتب السنة.
- ٥٩- أخرجه البزار في مسنده، برقم (٤١٤٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، برقم (٦٠٩)، والبيهقي في شعب الإبان (٣/٤٨٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/٣٠) عن أبي الدرداء.
- وهو حسن بشواهده، والله أعلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٧): وهو حديث حسن.
- ٦٠- مجموع الفتاوي (٢٧/٧).
- ٦١- المنار المنيف (ص ٩٣).
- ٦٢- مجموع الفتاوي (٣١/٥٢).
- ٦٣- مجموع الفتاوي (١٠/٤٣٩، ١١/٤٠٢، ٣٥/٣٧).
- ٦٤- مجموع الفتاوي (٢٧/١٥٠).

- ٦٥- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٢٧).
- انظر: صحيح مسلم: (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (١٦٢/٢٥٩).
- ٦٦- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٨).
- انظر: صحيح مسلم: (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (١٦٢/٢٥٩).
- ٦٧- مجموع الفتاوي (٩/٢٧).
- ٦٨- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٣٢١/٢).
- انظر: صحيح مسلم: (١) كتاب الإيمان (٧٥) باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١٧٢/٢٧٨).
- ٦٩- سورة الإسراء، آية (١).
- ٧٠- سورة النجم، الآيتان (١٢، ١٣).
- ٧١- الجواب الصحيح (١٥٦/٦).
- ٧٢- مجموع الفتاوي (٥٠٧/٢٧).
- ٧٣- النبوات (ص ٩٩٨).
- ٧٤- مجموع الفتاوي (٣٩٤/٢٧).
- ٧٥- مجموع الفتاوي (٢٧٥/١١).
- ٧٦- أخرجه البخاري في صحيحه: (٨٣) كتاب الأيمان والندور، (٢٨) باب النذر في الطاعة (٦٦٩٦)، و (٣١) باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦٧٠٠). وهو في الموطأ، وأخرجه أصحاب السنن. من طريق مالك وعبيد الله بن عمر، عن طلحة بن عبدالمك عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.
- ٧٧- مجموع الفتاوي (١٨٦/٢٧).
- وانظر آراء الفقهاء: الشافعي في الأم (٦٥٨/٣)، ومالك في المدونة (٥٨٦/١)، وأحمد في المغني (١٦/٩)، وأبو حنيفة في شرح معاني الآثار (١٣٢/٣).
- ٧٨- مجموع الفتاوي (٦/٢٧).
- ٧٩- انظر: جامع المسائل (٣٧٠/٥).
- ٨٠- تكرر ذلك في مصنفاته. انظر مثلاً: مجموع الفتاوى (١٢/٢٧، ٢٤، ١٤٢، ٤١٨). و (٥/٢٨)، وجامع المسائل (٣٤٦/٥).
- ٨١- مجموع الفتاوي (٥٠٧/٢٧).
- ٨٢- أكثرهم عوام، وبعضهم من متأخري علماء المسلمين، كالسخاوي. انظر كتاب البلدانيات للسخاوي،

- تحقيق حسام القطان، دار العطاء، الرياض، ١٤٢٢هـ (ص ٦٣).
- ٨٣- صحيح البخاري (٣٤) كتاب البيوع (٥٣) باب بركة صاع النبي (٢١٢٩)، وصحيح مسلم (١٥) كتاب الحج (٨٥) باب فضل المدينة (٤٥٤/ ١٣٦٠). من طريق عمرو بن يحيى المازني، عن عباد بن تميم، عن عمه عبدالله بن زيد.
- ٨٤- صحيح مسلم: (١٥) كتاب الحج (٨٦) باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (١٣٧٤/ ٤٧٥) من طرق متعددة عن أبي سعيد الخدري.
- ٨٥- مجموع الفتاوى (١١٧/ ٢٦).
- ٨٦- مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٧).
- ٨٧- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٤).
- ٨٨- تحصيل الأئس لزائر القدس (ص ١٥٩).
- ٨٩- إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي (ص ١٩١ وما بعدها).
- ٩٠- انظر: إعلام الساجد للزركشي ص (٢٩١)، وسبل الهدى والرشاد، للصالحى (٣/ ١١٠). مستدلاً بما جاء عن وهب بن منبه وكعب الأخبار من الإسرائيليات.
- ٩١- تحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، لأبي عبدالله المنهاجي السيوطي (١/ ١٦٠).
- ٩٢- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٥).
- ٩٣- المستدرک على مجموع الفتاوى (٥/ ٢١٣).
- ٩٤- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣١٧).
- ٩٥- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٢٧).
- ٩٦- المستدرک على مجموع الفتاوى (١/ ٢٦).
- ٩٧- مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧).
- ٩٨- جامع المسائل (٥/ ٣٦٩).
- ٩٩- المنار المنيف (ص ٨٧).
- ١٠٠- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص ١٥٦).
- ١٠١- قواعد وأسس في السنة والبدعة (ص ٧٤).
- ١٠٢- مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠). وانظر: (٢٦/ ١٥٠).
- ١٠٣- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٤).
- ١٠٤- مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢١).
- ١٠٥- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٣٤). ومجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢).

وقد بالغ اليعقوبي وهو رافضي، فقال في تاريخه (٢/ ٢٦١): ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم، إذا حجوا، بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا، تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله ﷺ قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروي أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة.

١٠٦- مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١).

١٠٧- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٠٩).

١٠٨- المنار المنيف (ص ٨٧).

١٠٩- المدخل (٤/ ٢٤٣).

١١٠- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص ١٨٣).

١١١- مناسك الحج والعمرة (ص ٦٤).

١١٢- صحيح البخاري: (٢٥) كتاب الحج (٥٠) باب ما ذكر في الحجر الأسود (١٥٩٧)،

و (٥٧) باب الرمل في الحج والعمرة (١٦٠٥)، وصحيح مسلم: (١٥) كتاب الحج (٤١) باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٢٤٨-٢٥٠/ ١٢٧٠) من طرق متعددة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً.

١١٣- اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣١٠).

١١٤- قواعد وأسس في السنة والبدعة (ص ٢٢٥).

المصادر والمراجع:

- تحاف الأخصا بفضايا المسجد الأقصى: محمد بن أحمد بن علي السيوطي المنهاجي (بعد ٨٨٠ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ)، تحقيق مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
- الأحاديث المختارة: محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣ هـ)، تحقيق عبد الملك دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ.
- الأم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق مشهور سلمان، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- البلدانيات: محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ هـ)، تحقيق حسام القطان، دار العطاء، الرياض، ١٤٢٢ هـ.
- تاريخ يعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب العباسي (٢٨٤ هـ)، دار صادر، بيروت.
- تحصيل الأنس لزائر القدس: عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: عيسى القدومي وخالد نواصرة، نشر مركز بيت المقدس للدراسات والتوثيق، ١٤٣١ هـ.
- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق: لعلي بن محمد الربيعي، محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠ هـ)، مكتب المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
- الترغيب والترهيب: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٦٥٦ هـ)، تعليق مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٤٤ هـ)، تحقيق مصطفى السيد زملائه، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣ هـ)، تحقيق سعيد أعراب، المملكة المغربية، ١٣٩٦ هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات: يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تهذيب الكمال: يوسف بن عبدالرحمن المزني (٧٤٢ هـ)، تحقيق د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
- جامع المسائل: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨ هـ)، تحقيق عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨ هـ)، تحقيق علي ناصر وزميليه، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.
- دليل الرسائل الجامعية في علوم شيخ الإسلام ابن تيمية: إعداد عثمان شوشان، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، ١٤٢٤ هـ.
- رحلة ابن جبير: محمد بن أحمد ابن جبير (٦١٤ هـ)، دار صادر، بيروت.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي (٩٤٢ هـ)، تعليق عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠ هـ)، مكتبة المعارف بالرياض، ١٤١٥ هـ.
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ)، اعتني به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه» (٢٧٥ هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩ هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
- سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ)، بترقيم عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.
- شرح مشكل الآثار: أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١ هـ)، تحقيق محمد زهري النجار وزميله، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ)، ترتيب على بن بلبان الفارسي (٧٣٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، (٢٥٦هـ)، اعنتى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب للمنزري: محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، اعنتى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ.
- طبقات علماء الحديث: محمد بن أحمد بن عبدالهادي الدمشقي (٧٤٤هـ)، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
- فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت.
- قواعد وأسس في السنة والبدعة: الدكتور حسام الدين عفانة، القدس، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: على بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
- مجموع الفتاوي: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، جمع عبدالرحمن النجدي وولده، ١٣٩٨هـ.
- المدخل: محمد بن محمد العبدري «ابن الحاج» (٧٣٧هـ)، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ) ضبط أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبدالله النيسابوري الحاكم (٤٠٥هـ)، بإشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- المستدرک على مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية: جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- المسند: الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- مسند البزار: أحمد بن عمرو البزار (٢٩٢هـ)، تحقيق عادل سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

- مسند الفاروق: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تعليق عبدالمعطي قلعجي، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي (٢٧٧هـ)، تحقيق د. أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٤هـ.
- المغني في فقه الإمام أحمد: عبدالله بن أحمد المقدسي «ابن قدامة» (٦٢٠هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٤٠٠هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين مستو وزملائه، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر الزرعي «ابن القيم» (٧٥١هـ)، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف وسرد ما ألحق الناس بها من البدع: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.
- النبوت: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

سلسلة بيت المقدس للدراسات



نكتبنا في سرقة كتبنا

• د. عيسى القدومي

نكتبنا في سرقة كتبنا



نكبتنا في سرقة كتبنا

عيسى القدومي

٥٠

السرقه

العظمى للكتب ، عنوان فيلم وثائقي عرض مؤخراً يروي حكاية أكبر سرقة ثقافية شهدتها التاريخ، ويكشف سرقة الكيان الصهيوني لأكثر من ٨٠ ألف كتاب ومخطوطة فلسطينية - وبعضها نادر ولا يقدر بثمن - من المكتبات والمنازل التي تم تهجير أصحابها من الفلسطينيين، بعد أن طردهم الاحتلال عام ١٩٤٨م. ونُقلت إلى

المكتبة الوطنية في الكيان الصهيوني .

ويكشف الفيلم على مدار ٤٨ دقيقة ، الذي أخرجه اليهودي المقيم بهولندا «بيني برونر»، واستغرق إنتاجه أعوام تفاصيل سرقة استمرت أكثر من ستين عاماً للإرث الثقافي الفلسطيني، إذ نهبت الدولة العبرية خلالها قرابة ٨٠ ألف كتاب، ٣٠ ألفاً منها من مدينة القدس وحدها، والباقي من المدن الأخرى .

وقد وثق الفيلم قيام العصابات الصهيونية في الأشهر الأولى لقيام دولة الاحتلال بحملة تفتيش لمنازل فلسطينية هُجّر أصحابها بالقوة، للبحث عن كتب عربية بهدف سرقتها وإثراء المكتبة القومية العبرية والجامعية بها، ويوثق أيضاً مرافقة موظفي المكتبة «القومية» لجنود الاحتلال وجمعوا الكتب والصحف من منازل المواطنين الفلسطينيين خاصة بالقدس ويافا وحيفا خلال عام ١٩٤٨م، فقد كان لهؤلاء الموظفين الدور الأساس في التنسيق مع جنود الاحتلال للدخول إلى المنازل بعد طرد الفلسطينيين منها لجمع الكتب، بينما كانت المعارك تحدث في الشوارع. وأظهر الفيلم أن ثمانية آلاف كتاب لا تزال تحمل ملصقاً عليه الحرفان «إيه بي» أي: أملاك متروكة، بينما تمت إزالة الملصق عن أكثر من ٢٠ ألف كتاب أخرى لمحو مصدره وسرقته .

فيلم وثائقي
يكشف
سرقة
الكيان
الصهيوني
لأكثر من
٨٠ ألف
كتاب
ومخطوطة
فلسطينية

وعرض الفيلم شهادات حية لعدد من المفكرين الفلسطينيين، إذ تحدثوا خلالها عن قيمة الكتب التي نهبها الكيان الغاصب طوال الفترة الماضية.

وقد أثار عرض فيلم «السرقة العظمى للكتب»، ردود فعل فلسطينية ما بين الأسى والغضب، ودفع البعض للمطالبة بالكتب المنهوبة من قبل العصابات الصهيونية، والموجودة بالآلاف، وفق الفيلم، في المكتبة الوطنية الصهيونية، بعد أن اختفت من بيوت الفلسطينيين المهجرين عقب نكبة الفلسطينيين، واستولى عليها العاملون في هذه المكتبة بالدرجة الأولى، وغيرها من المكتبات اليهودية، وهي كتب تقع تحت مسؤولية مؤسسة ما يعرف بـ «أملاك الغائبين»، التي تقوم على قانون عنصرى لمصادرة أملاك الفلسطينيين ممن لجأوا إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، أو دول الجوار، وباتوا يعيشون في مخيمات تتفاوت في مستويات مأساوية العيش فيها.

وأثار عرض الفيلم الوثائقي بداية حفيظة اليهود عند عرضه في الكيان الغاصب، قبل

أثار
عرض
الفيلم
الوثائقي
حفيظة
اليهود
ووصفه
بعضهم
بأنه
أسوأ
ما يشاهد

عرضه في رام الله، وصرح المخرج برونر للصحافة: «إن إسرائيل مسؤولة عن الظلم الذي وقع على الفلسطينيين لسنوات عدة... أتصور أننا يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا، وأن نكون في الجانب الصحيح من التاريخ، عبر الاعتراف بالتسبب بمأساة أناس آخرين. وأضاف برونر في لقاء تلفزيوني مع فضائية «بي بي سي» البريطانية: «عند عرض الفيلم في تل أبيب وُجّهت إليّ وإلى الفيلم انتقادات، وصلت إلى أن البعض وصفه بأنه الفيلم الأسوأ الذي يشاهدونه على الإطلاق، وأنتي زورت الحقائق عندما تحدث عن سرقة الكتب الفلسطينية بعد حرب عام ١٩٤٨م، في حين أن ما قام به العاملون في المكتبة الوطنية الإسرائيلية، كما يرى المنتقدون، يندرج في إطار إنقاذ الكتب وحمايتها»!!

نكبتنا في سرقة كتبنا

٥٢

ومن الأكاذيب التي رد بها المتحدث باسم المكتبة تهمة السطو قائلًا: إن المكتبة تدير فقط الكتب نيابة عن وزارة المالية وجامعة حيفا، على أنها ممتلكات مهجورة وأصحابها مجهولو الهوية، وقد أزالَت المكتبة العبارات التي تشير إلى مطابع الكتب وأصولها العربية، بينما بيعت كتب لم تكن تهتم المكتبة بها.

وأطلق المخرج بالتعاون مع مؤسسات ناشطة حملة عبر الإنترنت لتحديد أصحاب الكتب المنهوبة أو ورثتهم وأبنائهم، أو من شهد عمليات النهب ليُدلي بشهادته في الفيلم الوثائقي الذي يجري تصويره.

وتحدث في الفيلم ناصر النشاشيبي المؤلف والكاتب المقدسي، الذي شهد عمليات نهب الكتب المنظمة من منزله ومن حيّه، وهو من عائلة معروفة من المفكرين الفلسطينيين، وكان في العشرينات من عمره عام ١٩٤٨م. عن «سرقة مكتبة خاله إسعاف النشاشيبي الذي ترك موروثاً ثقافياً وكتباً ومخطوطات لا تقدر بثمن، وقد تمكّن ناصر النشاشيبي من دخول المكتبة الوطنية الإسرائيلية والاطلاع على بعض الكتب التي تعود ملكيتها إلى خاله وعليها اسمه، وأحدها كتاب «المكرمات» للكاتب أحمد ناصر جودي الذي أهدى كتابه هذا إلى إسعاف عام ١٩٤٥م مع التوقيع والإهداء الشخصي على صفحات الكتاب الأولى.

أما محمد البطرأوي، فقدّم في أحد مشاهد الفيلم شهادته، حول العربات العسكرية الصهيونية التي حملت كتباً كثيرة من منازل مدينة الرملة المهجرة، ونقلتها إلى أماكن «لا أحد يعلمها»، وهو ما أكد عليه كتاب وناشطون صهاينة.

أما المؤرخ اليهودي «إيلان بابيه» فقال في مقابلة معه في الفيلم: «لا يهمني ما الطريقة التي حفظت فيها هذه الكتب، ما يهمني عودة هذه

العربات
العسكرية
الصهيونية
حملت
كتباً كثيرة
من منازل
مدينة
الرملة
المهجرة

الكتب إلى المكتبات الفلسطينية»، مضيفاً: «إن الإسرائيليين يعملون من خلال سرقة هذه الكتب على محو ومسح التاريخ الفلسطيني».

ومن لحظة وصول هذه الكتب للمكتبة حدث تحول ذهني وعقلي في المكتبة. لم يعد السؤال المطروح لمن هذه الكتب. فقد تعاملوا معها باعتبارها كتبهم هم وادعوا أنهم الوحيدون الذين يستطيعون استخدامها بشكل مناسب.

دراسة أكاديمية ولدت فيلماً :

الفيلم يركز على أطروحة دكتوراه جديدة أنجزها الباحث اليهودي بجامعة بنر السبع «غيش عميت». وتتركز الدراسة الأكاديمية بالمكتبة الوطنية التابعة للجامعة العبرية بالقدس الغربية - أكبر جامعات الكيان الغاصب- التي أودعت بمخازنها تحت الأرض ثلاثين ألف كتاب ومجلة ووثيقة فلسطينية مسروقة.

ولا يسمح للزائرين باستعارة هذه الكتب من المكتبة بخلاف بقية كتبها، ولا يمكن الاطلاع عليها بسهولة حيث يخضع من يطلبها لتحقيق تفصيلي.

ويستدل من الدراسة أن السطو الثقيل استمر حتى طيلة ١٩٤٩م بشكل منهجي حتى بعد قيام إسرائيل كدولة. وتكشف الدراسة أن موظفي المكتبة الجامعية بالقدس رافقوا جنود الاحتلال وجمعوا الكتب والصحف من منازل الفلسطينيين خاصة بالقدس ويافا وحيفا خلال وبعد احتلالها. كما سرقت بالطريقة ذاتها أرشيفات ومكتبات المدارس والمساجد ومن بينها مصاحف تاريخية ثمينة إضافة لكتب في الأدب والشريعة و العلوم والفلسفة.

وتم ذلك بمعرفة الحكومة الصهيونية الأولى كما يدل محضر

يعملون
من
خلال
سرقة
هذه
الكتب
على
محو
ومسح
التاريخ
الفلسطيني

نكبتنا في سرقة كتبنا

٥٤

جلستها في ٢٠ ديسمبر/كانون الأول ١٩٤٨م وفيها يُطلع وزير الداخلية وقتها «يتسحاق جرينباوم» بقية الوزراء على تعاون الجامعة العبرية مع الجيش «لتجميع الكتب من المنازل».

وتؤكد محاضر رسمية أخرى ما تؤكدُه مصادر فلسطينية أيضا أن آلاف الكتب الفلسطينية التي سيطر عليها الجيش لا ترد في سجلات الجامعة العبرية، وقد بيع قسم منها في مزادات علنية، وقسمها الآخر تمت أرشفته بعد طمس حقيقتها، وهناك كتب تم إتلافها.

وتكشف الدراسة أن الكيان المحتل أقدم عام ١٩٥٨م على إتلاف ٢٧ ألف كتاب عربي مسروق بدعوى أنها عديمة القيمة وكونها «تُشكّل خطراً عليها». كما باعت آلاف الكتب التربوية والتعليمية الفلسطينية لمصنع الورق من أجل إتلافها وتدويرها.

ويجمع الباحث اليهودي بدراسته بين موقفين متناقضين:

أولهما: زعمه بأن الجامعة العبرية صانت الكنز الثقافي، وثانيهما:

إقراره بأن الفلسطينيين يتهمون إسرائيل بأنها قامت بعملية سلب ذات طابع ثقافي. ويتابع «الجامعة العبرية تزعم أنها ألزمت موظفيها بدخول منازل من هاجر فقط».

بالمقابل يوضح المؤرخ المختص بالتاريخ الفلسطيني البروفيسور «مصطفى كبها» للجزيرة نت أنه بالمحصلة النهائية أنقذت الجامعات الإسرائيلية عشرات آلاف الكتب، بينما ضاعت مئات آلاف أخرى وتعتبر إعادتها لأصحابها الفلسطينيين امتحانا لصحة مزاعمها.

ويدعو مكتبة الجامعة العبرية لنفي تهمة سرقة الكتب الفلسطينية العائدة لإحدى المؤسسات الثقافية الفلسطينية أو لورثة أصحابها، وهم معروفون بأغلبهم، وقد سجلت أسماء الكثير منهم على معظم الكتب.

بيع
قسم
منها في
مزادات
علنية،
وقسمها
الأخر
تمت
أرشفته
بعد
طمس
حقيقتها

وكشف بعض المختصين : أن أكاديميين ومستشرقين يهود سرقوا مئات الكتب الفلسطينية وأودعوها مكتباتهم الخاصة .

وهناك سؤال آخر ظل معلقاً دون جواب هو ماذا حل بالآلاف الكتب الأخرى التي «وقعت» بأيدي الجيش الصهيوني ولا تظهر أصلاً في سجلات المكتبة؟ تدل وثائق أخرى غير مفصلة أن قسماً من هذه الكتب بيعت بمزادات علنية، وقد يكون قسم منها دفن في أرشيف الجامعة أو تم إتلافه.

لماذا تسرق كتبنا ؟

تسرق كتبنا لتأمين الكثير من متطلبات العمل البحثي، ودفع الباحثين اليهود إلى المضي قدماً في تلك الأبحاث؛ لتحقيق الأغراض المحددة لها! وسرقات الكتب الكبرى ساهمت في تحقيق أغراضهم .

تسرق
كتبنا
لتأمين
الكثير
من متطلبات
العمل
البحثي
لتحقيق
الأغراض
المحددة لها!

فمركز الدراسات الآسيوية والأفريقية في الجامعة العبرية يضم في مكتبته الكثير مما يحتاجه الباحثون من كتب عربية مسروقة من المكتبات الفلسطينية، والجامعة العبرية في القدس تضم مكتبة ضخمة فيها نحو: (مليون ونصف المليون) مجلد، ويعمل فيها (٦٠) أمين مكتبة؛ بين رئيس وثنائي، و(٢٠) كاتباً وموظفاً، وقد عنيت هذه المكتبة بالحصول على تركات كثير من المستشرقين والباحثين اليهود من مختلف أنحاء العالم، وأفردت في داخلها أجنحة خاصة لمكتباتهم ومؤلفاتهم، وفي مقدمة هؤلاء المستشرقين: الهنغاري اليهودي الشهير (آجنتس جولد تسيهر)؛ الذي تضم مكتبة الجامعة مختلف المواد البحثية التي كان يعتمد عليها أو ينتجها^(١). كما ضمت الجامعة العبرية الكثير من تراثنا ومخطوطاتنا؛ ما يندي

نكبتنا في سرقة كتبنا

له الجبين، بل مكتبات كاملة عليها ختم المكتبات الأصلية، ومن هذه المكتبات التي آلت للجامعة العبرية: (مكتبة الشيخ أسعد الشقيري) (ت ١٩٤٠م)، و(مكتبة الشيخ الفاضل راغب نعمان الخالدي) - مؤسس المكتبة الخالدية - (ت ١٩٥٠م)، و(مكتبة الأستاذ درويش مصطفى الدباغ الياي) (ت ١٩٥١م)، و(مكتبة أخيه الأستاذ الشاعر إبراهيم مصطفى الدباغ الياي) (ت ١٩٤٦م)، و(مكتبة الأديب الكبير عجاج نويهض) (ت ١٩٨٢م)، و(مكتبة أديب فلسطين الكبير محمد إسعاف النشاشيبي) (ت ١٩٤٧م)، و(مكتبة الأستاذ خليل بيدس المقدسي) (ت ١٩٤٩م).

ومنها (المكتبة الخليلية) في القدس؛ التي أسسها الشيخ محمد بن محمد الخليلي - مفتي الشافعية في القدس - (ت ١١٤٧هـ)، وكذلك (مكتبة العلامة المؤرخ عبد الله مخلص المقدسي) (ت ١٩٤٧م)، و(مكتبة آل النحوي) في صفد، وغيرها من المكتبات الفلسطينية العريقة^(٢).

ومن الأمثلة المحزنة لسرقات مكتبة الجامعة العبرية: سرقة ذلك المخطوط النادر الذي لا ثاني له في العالم كتاب «فضائل البيت المقدس» مؤلفه أبي بكر الواسطي في القرن الخامس الهجري، وكان هذا الكتاب ضمن مجموع نادر في (مكتبة جامع أحمد باشا الجزائر) في عكا (المكتبة الأحمدية)، وبما أنها نسخة وحيدة ونادرة؛ فقد صورتها دار الكتب المصرية عام (١٩٣٢م)، ثم أعادتها إلى المكتبة، وفي عام (١٩٤٨م) احتل اليهود مدينة عكا، واستولوا على كنوزها، ثم اختفى هذا المجموع الأصلي، ولم يبرز هذا المخطوط إلا عام (١٩٦٩م)؛ حيث قام بتحقيقه باحث يهودي هو (إسحق حسون)؛ لينال به درجة الماجستير من الجامعة العبرية، ثم صدرت مطبوعة عام (١٩٧٩م)^(٣)، وسرقت هذه

من الأمثلة
المحزنة
لسرقات
مكتبة
الجامعة
العبرية؛
سرقة كتاب
« فضائل
البيت
المقدس »

المخطوطة من مكانها الآمن في عكا لتستقر في مكتبة الجامعة العبرية^(٤). وقد تم للباحث اليهودي (إسحق حسون) الحصول على نسخة من المخطوط «فضائل البيت المقدس» لأبي بكر الواسطي؛ الذي سرق من جامع عكا. وقد أعاد مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية تحقيق ذلك الكتاب ضمن خطته في إعادة تحقيق المخطوطات التي حققها باحثون يهود كأمثال إسحق حسون؛ الذي يُعد من الباحثين والمستشرقين اليهود الذين أسهموا في نشر الأكاذيب وألبسها اللباس العلمي البحثي!!

أكاذيب تدحضها الحقائق :

لا شك أن أهل فلسطين كما هم ضحية سلب أرضهم، وندس مقدساتهم، وكذب على تاريخهم، وطعن بعقيدتهم وثوابتهم؛ فإنهم -فضلاً عن ذلك كله- ضحية الأفكار والأكاذيب التي سوّقتها الصهيونية؛ بدءاً من نقاء اليهود وساميتهم، إلى الاعتقاد بدونية

أهل فلسطين وتخلفهم!! هذا ما صرحت به (غولدا مائير) -رئيسة وزراء الكيان اليهودي- بأنه: «ليس هناك من شعب فلسطيني.. وليس الأمر كما لو أننا جئنا لنطردهم من ديارهم والاستيلاء على بلادهم، إنهم لا وجود لهم»^(٥).

ففي نظرهم وواقعهم أن شعب فلسطين وتاريخه وتراثه ليس فقط غير مرئي بل لا وجود له؛ ومحاولة تهمة لا تنتهي لسرقة التاريخ والتراث الفلسطيني، فبعد أن سرقوا الزي الفلسطيني، والتراث الشعبي، والأمثال الفلسطينية التي قالوا أن أصلها يهودي، ووزعت الأكلات الشعبية الفلسطينية على أنها أكلات شعبية يهودية، بل إن المكسرات، والزيتون، والتمر الفلسطيني والعربي أصبحت توزع باعتبارها منتجاً وطنياً للكيان اليهودي!

إسحق
حسون، من
الباحثين
والمستشرقين
اليهود الذين
أسهموا
في نشر
الأكاذيب
وألبسها
اللباس
العلمي
البحثي

لا شك أن للفيلم أهميته من كونه يدحض الدعاية اليهودية بأن الشعب الفلسطيني شعب بلا ثقافة! وبعد هذا الفيلم سنبحث عن مخرج يهودي ليوثق ويكشف لنا مدى العبث في وثائقنا في الأرشيف العثماني التي هي محل زهد العرب واهتمام اليهود بها!!

• الهوامش:

- ١- انظر: للاستزادة: «الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل» (ص ١٠٤).
- ٢- محمد خالد كلاب، (المراكز الأكاديمية اليهودية ودورها في سلب تاريخ فلسطين)، مجلة «بيت المقدس للدراسات»، العدد (٣)، شتاء (٢٠٠٧)، (ص ٨٩-٩٠).
- ٣- تعقب هذا التحقيق الأستاذ عصام الشنطي بالنقد والتمحيص في دراسة وافية نشرت في مجلة «معهد المخطوطات العربية» (مج ٣٦ ج ١)، (٢/ ١٩٩٢).
- ٤- محمد خالد كلاب، (المراكز الأكاديمية اليهودية ودورها في سلب تاريخ فلسطين)، مجلة «بيت المقدس للدراسات»، العدد (٣)، شتاء (٢٠٠٧)، (ص ٩١-٩٢).
- ٥- تصريح لـ «الصندي تايمز» (١٥/٦/١٩٦٩م).

الفيلم
يدحض
الدعاية
اليهودية بأن
الشعب
الفلسطيني
شعب
بلا
ثقافة!

سلسلة بيت المقدس للدراسات



الأسرى الفلسطينيون بين المناصرة والمتاجرة!

• م. أيمن الشعبان

الأسرى الفلسطينيون
بين المناصرة والمتاجرة!



تعتبر

قضية فلسطين القضية المركزية الأولى لدى جميع المسلمين، بجميع حيثياتها وتفرعاتها، كيف لا وقد ربط الله سبحانه وتعالى رسالة السماء بهذه الأرض الطيبة المقدسة المباركة، في بداية الزمان ووسطه وآخره، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل عبر السنين تكون على أرضنا الحبيبة.

لما كانت الحروب سجال ومن لوازمها قتلى وأسرى وجرحى، فقد جاءت الشريعة بأحكام العدل والإنصاف، في جميع الأحوال سررائها وضرائها، حتى أنها وضعت شروطاً وضوابط وأحكاماً وأوصافاً لمن يقع في الأسر، لتصبح نظاماً وقوانين شرعية مسطرة في كتب الفقه وغيرها، في الوقت الذي لم تعرف فيه الأمم قبل الإسلام أي توصيف أو قانون لمعاملة الأسرى.

منذ قرابة قرن مضى من الزمن، وأرضنا فلسطين، وشعبنا يتعرض لظلم واضطهاد وتنكيل، فاق كل التصورات وبجميع المقاييس، فاحتلال إحلالي للأرض.. تهجير وتشريد لم يسبق له مثيل.. تهويد شامل للمقدسات والتاريخ والجغرافية.. قتلى وجرحى وأسرى من الرجال والنساء والأطفال.. شتى ألوان التعذيب والإهانة والذل والبطش في السجون الصهيونية، حتى أصبحت قضية الأسرى من أبرز القضايا المؤرقة لنا بل للعديد ممن لديهم ذرة من إنسانية في العالم!

ولو تأملنا البون الشاسع والفرق الكبير، بين حقوق الأسرى وكيفية معاملتهم في الإسلام، وبقية الديانات والحضارات عبر التاريخ، لوجدنا العجب العجاب وأن ديننا العظيم - بحق - دين الإنسانية

قضية
الأسرى
من
أبرز
القضايا
المؤرقة
لنا
جميعاً

جمعاء، ففي ديننا لا يؤسر إلا المحارب، ويجب الإحسان إليه في المعاملة وعدم تجويعه أو تعذيبه أو إهانتته ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتِنَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(١)، ولم تظهر المعاهدات الدولية لتنظيم معاملة الأسرى إلا في عام ١٨٧٥م وقد استقي معظمها من الإسلام.

ما أجمل ما كتبه «أوليفروس» - الألماني الأسير- الذي شارك في الحروب الصليبية واصفا معاملة صلاح الدين لهم؛ فقال: «منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجدود، خاصة إزاء أسرى العدو واللدود، ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبدا طاغية، ولا سيدا داهية، وإنما عرفناك أبا رحيمنا شملنا بالإحسان والطيبات، وعونا منقذا في كل النوائب والملمات، ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله.. إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم وأذقناهم من العذاب، لما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعا، راحوا يؤثرونا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان»^(٢).

الرجال
الذين
قتلنا
آباءهم
وأبناءهم
لما
غدونا
أسراهم
راحوا
يؤثروننا
على
أنفسهم

في المقابل نرى كيف كانت حضارة الرومان تقتل الأسير حتى أواخر حكمها، ثم أصدروا قوانين للإبقاء عليه حيا والاستفادة منه في أعمال شاقة ومهن وضيعة، ولا أدل على الهمجية والسادية في التعامل مع الأسرى، عندما هاجم الإمبراطور الروماني «فسبسيان» عام ٧٠م مدينة القدس والتي يسمونها «أورشليم» إذ أمر اليهود أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم بأيديهم، فاستجابوا من شدة الرعب، ثم عملوا قرعة ليقتل كل شخص صاحبه، حتى أبيدوا ولم ينج إلا قلة منهم!

الأسير لدى الفرس كان عرضة للتعذيب والاضطهاد والقتل، ثم

استرقوهم وباعوهم رقيقا واستعملوهم في الأعمال الشاقة، ولم يكن الحال بأفضل من ذلك في حضارة الهند، إذ كان الأسير يعتبر من أوضع وأدنى درجات المجتمع، بل يعتبر أخط من مرتبة البهائم وكفارة قتله ككفارة قتل الكلاب والقطط!!

وفي عام ١٥٧٢م ضمن حرب الثلاثين عاما في أوروبا انقضى الكاثوليك على البروتستانت الزائرين لأحد الأعياد وقتلوا منهم الآلاف وشنقوا الجرحى والأسرى على أغصان الشجر!!

في العصر الحديث امتازت وبرزت قوتين في تشريع التعذيب والتحايل على القوانين الدولية وحتى المبادئ الأخلاقية، من أجل استخدام التعذيب كوسيلة لتحقيق غايات سياسية أو أمنية وهما: «إسرائيل» والولايات المتحدة الأمريكية، ففي «إسرائيل» أصدرت المحكمة العليا «الإسرائيلية» قرارا في ٦ سبتمبر ١٩٩١م يحرم عددا من أساليب التعذيب، ولكن من دون أن يحرم التعذيب كليا، بل أن قرار المحكمة يسمح «للكنيست» بسن قوانين تمنح مسؤولي الاستخبارات صلاحية ممارسة هذه الأساليب، وقد اعتبرت المحكمة أن المصاعب الأمنية التي تواجهها «إسرائيل» شديدة بما يكفي لمنح الأجهزة الاستخباراتية صلاحية شعورهم بالحصانة فيما يتعلق بما يتبعون من ممارسات في السجون.^(٣)

من يتأمل تراث الإسلام في مسألة الأسرى، ويطلع على ما دوّنه علماء الإسلام عن الأسرى وحقوقهم في الإسلام يلحظ بجلاء أن الإسلام يجنح باستمرار إلى تغليب الجانب الإنساني في معاملته الأسرى، والأهم من ذلك أن الإسلام أخضع معاملة الأسرى لنظام محكم وتشريع مدون، لا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوزه أو التعدي عليه لا سيما تحت ضغط الحالات النفسية المتوترة التي تولدها الحروب والانتصارات.^(٤)

الإسلام
يجنح
باستمرار
إلى
تغليب
الجانب
الإنساني
في
معاملة
الأسرى

وجوب نصره الأسرى وإنقاذهم بكل الوسائل المتاحة

لما كان الأسر من الآثار المترتبة على قتال الأعداء، والجهاد باق وماض في أمتنا، فلا بد أن تكون هنالك أولوية واستراتيجية شاملة متكاملة، في المبادرة لسرعة إطلاق الأسرى، أو التخفيف من معاناتهم كحد أدنى، والعمل الجاد الدؤوب في هذه القضية، لأن الأسير ضحى بعمره وحرية وحياته الاجتماعية، وممارسة أدنى الأشياء في هذه الدنيا، في سبيل حريتنا وكرامتنا ومقدساتنا بل وديننا. قال عليه الصلاة والسلام (فكُّوا العاني، يعني: الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض)^(٦). لقد دأب العلماء والخلفاء والأمراء والحكام من المسلمين عبر التاريخ، وبذلوا جهوداً مضنية واهتماماً كبيراً، لتحرير الأسرى وإطلاقهم وخلصهم، مع ذلك يبين القرطبي رحمه الله القصور الحاصل في زمانه في تخليص الأسرى من أيدي الكفار قائلًا: « لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض! ليت بالمسلمين، بل بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٧)، فكيف لو رأى زماننا والله المستعان!

وجوب

نصره

الأسرى

وإنقاذهم

بكل

الوسائل

المتاحة

ثم أفاد القرطبي بوجوب فك الأسرى ونصرتهم حتى لو استنفذنا جميع الموارد، ونقل خلاصة أقوال العلماء وإجماعهم في ذلك فيقول: « قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد. قال ابن خويز منداد: تضمنت الآية وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسارى وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع. ويجب فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقيين»^(٧).

قال ابن العربي: « قال علماؤنا: أوجب الله سبحانه في هذه الآية^(٨) القتال ، لاستنقاذ الأسرى من يد العدو مع ما في القتال من تلف النفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب، لكونه دون النفس وأهون منها^(٩) .

وأقوال العلماء كثيرة جدا في ضرورة بذل الغالي والنفيس وكل ما بوسع الأمة، لإطلاق سراح الأسرى، من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فكاك الأسارى من أعظم الواجبات وبذل المال الموقوف وغيره في ذلك من أعظم القربات »^(١٠)، وقول العزبن عبد السلام: «إنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات، وقد قال بعض العلماء: «إذا أسروا مسلما واحدا وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم » ، فما الظن إذا أسروا خلقا كثيرا من المسلمين؟»^(١١) .

ولأهمية هذه القضية سجلت ووثقت، وأوقاف خاصة لفكاك الأسرى، منها وقف ونذر نور الدين زنكي اثني عشر ألف دينار في فداء الأسرى، وكذلك قام الناصر قلاوون بشراء أملاك بيت المال ثم وقفها على فكاك أسرى المسلمين، كما وقفها على إطلاق سراح المساجين في الدولة^(١٢)، ومن أشهر الأوقاف في ذلك وقف صلاح الدين ببلدة بلبيس^(١٣) .

لذلك يجب على جميع المسلمين، مجتمعين ومتفرقين تقديم يد العون، وبذل الأموال والأوقاف، وأن لا تقرر لنا عين حتى إخراج آخر أسير فلسطيني على وجه الأرض، كما لا ننسى الدعم المعنوي سياسيا وإعلاميا وحقوقيا، وبمختلف المحافل الدولية والإقليمية والعربية.

نماذج رائعة لفداء وفك الأسرى

للعلماء والخلفاء عبر التاريخ صور مشرقة ومواقف نيرة، في فكاك الأسارى غاية في الشجاعة وروعة في الجرأة والإقدام والبذل والعطاء

فكاك
الأسارى
من أعظم
الواجبات
وبذل
المال في
ذلك من
أعظم
القربات

واستشعار المسؤولية، حتى أن الإمام ابن النحاس (ت: ٨١٤ هـ) أفرد باباً هاماً عن فكاك الأسرى في كتابه «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق».

وخرج ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى المسلمين الأسرى في القسطنطينية: «أما بعد: فإنكم تعدون أنفسكم الأسارى، ومعاذ الله، بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أنني لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلا خصصت أهلكم بأكثر من ذلك وأطيبه.. واني قد بعثت إليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير. ولولا أنني خشيت أن يحبسها عنكم طاغية الروم لزدتكم عليها. وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، وذكركم وأنثاكم، وحرکم ومملوكم، بما يسأل عنه؛ فأبشروا ثم أبشروا. والسلام»^(١٤). ومن نواذر الأمثلة على ذلك عندما عاد المنصور بن أبي عامر - أحد ملوك المسلمين في الأندلس - من حربه وانتصاره على الفرنج إلى عاصمته، تلقته امرأة مسلمة، وقالت له: أنت والناس

يفرحون، وأنا باكية حزينة! قال: ولماذا؟ قالت: ولدي أسير عند الفرنج!

ابن
تيمية
اشترط
إطلاق
سراح
الأسرى
من النصارى
مع أسرى
المسلمين

فلم يذهب المنصور إلى قصره، وإنما سَيرَ الجيوش فوراً، وأمرهم أن يقاتلوا الفرنج حتى يخلصوا ابنها من الأسر، وجاءوا به حراً طليقاً^(١٥).

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أبعد من ذلك، عندما اشترط إطلاق سراح الأسرى من النصارى مع أسرى المسلمين، يقول رحمه الله: «وقد عرف النصارى كلهم أنني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقطلو شاه وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا؛ فإننا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله»^(١٦).

الأسرى بالأرقام

دون مبالغة أو تهويل تعد أكبر بل أضخم عملية اعتقال جماعي عبر التاريخ؛ للفلسطينيين داخل سجون الصهاينة، إذ أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني منذ عام ١٩٤٨م تعرضوا للأسر، وحتى تاريخ ٢٠٠٧/١/١م كان يقبع ١١٠٠٠ أسير فلسطيني بينهم ٥٥ عربي^(١٧)، أما الآن فقرابة ٤٦٠٠ أسيرا موزعين على ١٧ سجنا ومعتقلا ومركز توقيف، من بينهم ١٨٢ طفلا و ١١ أسيرة و ١٨٤ معتقلا إداريا دون تهمة أو محاكمة، و ١٣ نائبا بالإضافة إلى ثلاثة وزراء سابقين وعشرات المعلمين والقيادات السياسية والأكاديمية والمهنية، كما يعاني ١٢٠٠ أسير من أمراض مختلفة ويتعرضون للإهمال الطبي ١٨ منهم يعانون من أمراض خطيرة كالقلب والسرطان و ٨٥ معاقا، منذ عام ١٩٦٧ ولغاية ٢٠٠٧/١/١م توفي ١٨٧ شهيد بإذن الله تحت التعذيب أو الإهمال الطبي أو القتل المتعمد بعد الاعتقال، كما يعذب ما نسبته ٩٩٪ من الأسرى والمعتقلين بأسلوب الضرب المباشر و ١٠٠٪ من الأسرى يتعرضون للتعذيب بأشكال مختلفة ومتعددة^(١٨).

أساليب وأشكال تعذيب الأسرى في السجون الصهيونية

بالرغم من أن الكيان الصهيوني وقّع على العديد من الاتفاقيات الدولية التي تمنع التعذيب وهي (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اتفاقية مناهضة التعذيب، العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، اتفاقية جنيف الرابعة) إلا أنه مارس أبشع وشتى وسائل التعذيب الجسدي والمعنوي بحق الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجونهم، إذ عرف بني يهود بنقض اليهود ونكث المواثيق، كما قال تعالى ﴿ أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْرَهُمُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٩)، في الوقت ذاته يرفض قانون الكيان الصهيوني

أكثر
من
٨٠٠ ألف
فلسطيني
منذ
عام
١٩٤٨
تعرضوا
للأسر

اعتبار حالات التعذيب جريمة بل ذهبوا لأكثر من ذلك، فكل من يروج لذلك إنما يقترف إساءة إلى الشرطة والقوانين العسكرية!

وعليه عندما يكون هنالك غطاء قانوني يتيح لضابط التحقيق الصهيوني والمجندين وغيرهم، التمادي بأساليب وأشكال التعذيب وإذاعة الأسرى ألوان وأصناف قد لا يتخيلها عقل أو تخطر في البال، لذلك فالمعتقلات والسجون الصهيونية تشهد أشد وأنكى ومختلف أنواع التعذيب الجسدي والمعنوي والنفسي وغيرها، تصل لأكثر من مائة وسيلة تبدأ بوسائل القسوة والإجرام منذ لحظة الاعتقال أمام أهله وأبنائه، نذكر منها:

- ١- سكب المياه المبردة في وقت الشتاء على جسد الأسير وهو عار تماما، ما يؤدي إلى ارتجاج وارتعاش حاد يشل تفكيره، والغمس في الماء المغلي صيفا.
- ٢- الكي والحرق بأعقاب السجائر بأكثر مناطق الجلد حساسية، وتكسير الأسنان وقلع الأظافر، واستعمال العصي أو الهروات أو السياط في الضرب، مع تشويه الوجه والأجزاء الظاهرة من الجسم.

السجون
الصهيونية
تشهد
أشد وأنكى
ومختلف
أنواع
التعذيب
الجسدي
والمعنوي
والنفسي

- ٣- الإخساء وسلخ الجلد والتجويب أو الإجبار على الإفراط في الأكل، واستخدام الصعقات الكهربائية والتعليق بواسطة الحبال في أوضاع غير مريحة، وضرب الرأس في الحائط.
- ٤- الجلوس بطرق غير مريحة، بهدف إرهاق الجسم خصوصا عضلات القدمين والذراعين والكتفين والعمود الفقري، وإجباره الجلوس على كرسي أطفال بأرجل قصيرة جدا مع تقييد اليدين.
- ٥- بطح الأسير على ظهره ويدها مكبلتان من الخلف، مع ضغط المحقق بثقله على أعلى الصدر، مع استخدام الضرب بالهراوة.
- ٦- التعرية الكاملة وتقييد اليدين من الخلف، بهدف كسر وتحطيم روحه المعنوية، وكسر صلابته الأخلاقية.

٧- استخدام الموسيقى الصاخبة ومنعه من القيام بالشعائر الدينية، أو الذهاب للمرحاض بشكل طبيعي مع الشبّح لساعات طويلة أو لأيام، مع استخدام أسلوب الهز العنيف للرأس.

٨- حرمان الأسير لأعوام من أبسط احتياجاته الأساسية، والاحتجاز في أماكن مكتظة ومتسخة ومعتمة لا تصلح للحيوان فضلا عن البشر.

٩- إضافة الملح إلى الجروح، وإدخال الفلفل الحار أو البهارات، أو إجباره على تناول بعض العقاقير المؤذية.

١٠- التعذيب بإجبار المعتقل على النوم لفترات طويلة ما يؤدي لضمور العضلات، أو منعه من النوم لفترات طويلة ما يؤدي إلى فقدان التركيز.

١١- الحرمان من الأكل أو الشرب ورؤية ضوء الشمس وتسيط الإضاءة القوية عليه، أو الحرمان من الحقوق القانونية كزيارة الأهل والمؤسسات الحقوقية، كذلك الحرمان من اللعب والضحك وأداء الصلوات.

١٢- التعذيب النفسي كاستعمال أساليب تلاحظ ألاما نفسية، أو الإيحاء بأن الشخص على وشك أن يقتل، والحبس الانفرادي والإجبار على مشاهدة شخص آخر يتم تعذيبه، وإجباره على تعذيب شخص آخر، أو إجباره على مشاهدة اعتداء جنسي، أو إجبار الأسير على الكفر بمعتقداته الدينية وإهانة مقدساته.

١٣- ومن أشكال التعذيب النفسي حلاقة شعر الرأس خاصة للنساء، أو إجبار الشخص على التعري أمام الآخرين، أو إجباره على الاشتراك في عمليات جنسية^(٢٠).

١٤- المرأة تتساوى في الغالب بأساليب التعذيب، لكن هنالك أساليب أخرى تقع على الأسيرة الفلسطينية منها: التفتيش العاري والسب

حرمان
الأسير
لأعوام
أبسط
احتياجاته
الأساسية،
والاحتجاز
في أماكن
مكتظة

والشتم بألفاظ نابية.. التهديد بالتعرية أمام المعتقلين.. زجهن في غرف يمتلئ فيها العملاء للضغط عليهم.. تعرية الأسرى الشباب أمامهن وتهديدهن بالتعرية مثلهم.. نتف الشعر ثم لفة على الأيدي للتعذيب.. منعهن من وضع غطاء الرأس.. الوقوف وهن يحملن طاولة أو كرسي لمدة ٤٨ ساعة.. الحرمان من النوم.. إجلاسهن بوضع الولادة والمرور على أجسادهن بآلات كهربائية والتركيز على المناطق الحساسة في الجسم.. وغيرها من الوسائل السادية الوحشية العنجهية^(٢١).

يتعرض الأطفال الفلسطينيون على نحو واسع للاعتقال سواء من البيوت أو الحواجز العسكرية، ويتعرضون للإهانة اللفظية خلال نقلهم ولا يتم إخبار عوائلهم في بعض الحالات، وقد ينقلون من سجن لآخر، كما يتم تكبيل أيديهم وتعصيب أعينهم ويتعرضون للتهديد واستخدام أسلوب الضغط النفسي والجسدي لانتزاع اعتراف منهم.

كذلك يحرم الأطفال من حقهم بالاتصال بالعالم الخارجي وزيارة عائلاتهم، كما يعانون من ظروف نفسية قاسية بسبب العزل الانفرادي، كما أن الطعام سيء مع تجاهل حقهم بالتعلم وغيرها من الأساليب المشينة^(٢٢).

كيف فنصر الأسرى؟

يتعرض
الأطفال
الفلسطينيون
على نحو
واسع
للاعتقال
سواء من
البيوت
أوالحواجز
العسكرية

لم يكن نبينا عليه الصلاة والسلام يهدأ له بال، وهو يرى بضعة أسرى مسلمين بيد المشركين، وكان يبذل وسعه وجهده في فكاهم، وهو القائل عليه الصلاة والسلام: (فكوا العاني، وأجيبوا الداعي، وعودوا المريض)^(٢٣)، ثم انعكست هذه الوصية بشكل عملي في سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام، حيث (فدى أهل بدر بمال)^(٢٤)، كما أنه عليه الصلاة والسلام (فدى رجلين من أصحابه برجل من المشركين من بني عقيل)^(٢٥).

كيف ونحن نتكلم عن ٤٦٠٠ أسير في سجون الصهاينة، وأكثر من ١٠٠ ألف معتقل سوري في غياهب ظلم وقهر وقمع النظام السوري بما فيهم فلسطينيين، وأكثر من ٢٥ ألف معتقل عراقي يذوقون أشد أنواع التنكيل والتعذيب في سجون المالكي الطائفية، وقرابة ٤٦٠ معتقل من جنسيات عربية أيضاً في السجون والمعتقلات العراقية بضمنهم ٤٠ معتقلاً فلسطينياً!!

على الرغم من ضعف الأمة الإسلامية وتشردمها وتفتتها، وانشغال كل دويلة وإغراقها بمشاكل كبيرة ومعقدة؛ سياسياً واقتصادياً وعسكرياً بل حتى اجتماعياً وثقافياً، إلا أن قضية الأسرى ينبغي أن تتصدر جميع القضايا المطروحة، ووضع استراتيجيات مرحلية واضحة المعالم قابلة للتطبيق، مع مراعاة الأحوال العامة والإمكانات المتاحة.

من أعظم وأهم مقدمات تحقيق نصره الأسرى؛ العمل الجاد لتحقيق أسباب النصر والتمكين، والتي غالبيتها معنوية، عندها سنتقدم خطوات كبيرة ونقطع أشواطاً عديدة في هذا الجانب، إذ كلما حققت الشعوب والحكومات الإسلامية مجتمعة أو منفردة، سبب واحد من أسباب العزة والرفعة والكرامة، نكون قد أنجزنا خطوة هامة لنصرة أسرارنا ومعتقلينا في كل مكان.

الدعاء سلاح من لا سلاح له، وهو عنصر فعال وهام جداً خصوصاً لنصرة المظلومين من الأسرى وغيرهم، إذ يقول عليه الصلاة والسلام (اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) ^(٢٦)، ويقول كذلك ﷺ (هل تنصرون إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم) ^(٢٧)، وعندما سئل الإمام أحمد رحمه الله: كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال: دعوة صادقة من قلب صادق.

قضية

الأسرى

ينبغي

أن تتصدر

جميع

القضايا

المطروحة

وكان من شأنه عليه الصلاة والسلام نصره الأسرى بكل ما أوتي من قوة ووسائل مادية أو معنوية بسيطة أو كبيرة، من ذلك استخدامه سلاح الدعاء للأسرى والدعاء على من ظلمهم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله الذي أخرجه البخاري: (كان رسول الله ﷺ حين يرفع رأسه يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد . دعو لرجال فيسميهم بأسمائهم، فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، عياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) . وأهل المشرق يومئذ من مضر مخالفون له . فواجب علينا جميعا في كل الأزمنة والأحوال والظروف وكل بحسبه، استنقاذ الأسرى من قيود الذل والهوان، ابتداء بالجهاد والقتال مع التجهيز وإعداد العدة لذلك، والواقعية في الإثم وسخط الله بحسب النية والقدرة، للتخاذل عن هذا الأمر العظيم الخطير!! قال ابن جزى : « يجب استنقاذهم من يد الكفار بالقتال فإن عجز المسلمون

وجب عليهم الفداء بالمال ، فيجب على الغني فداء نفسه ، وعلى الإمام فداء الفقراء من بيت المال فما نقص تعين في جميع أموال المسلمين ولو أتى عليها ويجبر الإمام سادات العلوج على فداء المسلمين بهم و يعطاهم الثمن»^(٢٨) .

فإن لم يتحقق فكاك الأسارى بالقتال أو الفداء، فعلى المسلمين بذل أقصى جهدهم ووسعهم وإيجاد وسائل ممكنة في إطلاقهم أو على أقل تقدير التخفيف من معاناتهم، سواء بأسر عدد من جنود المحتل الغاصب ثم المفاوضة معهم، كما حصل في صفقة تبادل الأسرى نهاية عام ٢٠١١م والتي عُرفت بصفقة « شاليط » وتم تحرير ١٠٢٧ أسيرا فلسطينيا، أو تدويل قضيتهم وطرحها بقوة في جميع المحافل العالمية، أو استخدام الضغط السياسي دوليا وإقليميا وعربيا .

على المسلمين
ببذل
أقصى
جهدهم
ووسعهم
وإيجاد
وسائل
ممكنة في
إطلاقهم

أخبرني والدي رحمه الله بينما هو وسبعة شبان فلسطينيين بطريقهم لإحضار مواد غذائية للأهالي بتاريخ ١٩٤٨/٧/٧م اعتقلتهم العصابات الصهيونية قرب قرية دالية الكرمل وتعرضوا لتعذيب شديد، بالمقابل استولى المجاهدون الفلسطينيون على قافلة تموين يهودية عند قريتي عين غزال وجبع في قضاء حيفا، كما أخذوا عدداً من الأسرى بينهم مدير دائرة الأشغال العامة في حيفا المهندس «اتكس» وزوجته وقد أصيبت أثناء المعركة، وبعد مفاوضات ووساطة من «فكتور عزيز» خياط قنصل أسبانيا الفخري في فلسطين تمت عملية تبادل الأسرى بتاريخ ١٩٤٨/٧/١٦م.

مع شديد الأسف تعتبر ثاني أكبر حليف إستراتيجي بعد الولايات المتحدة الأمريكية عالمياً، مع الكيان الصهيوني هي دولة إسلامية، إذ لديها تعاون واتفاقيات أمنية وعسكرية واقتصادية وتجارية وسياحية وغيرها، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هو المقابل لهذه التنازلات وكل هذا الخذلان؟! هل هنالك مقابل أم أن القضية

أصبحت عطايا وقربان دون أي آثار إيجابية أو نتائج وثمار تعود بمصالح ولو أنية أو جزئية لفلسطين بما في ذلك قضية الأسرى!! أضف إلى ذلك عدة دول عربية لها اتفاقيات أمنية واقتصادية وتجارية وغيرها مع الصهاينة، فلم لا تطرح قضية الأسرى وتعاد الحسابات السياسية والاتفاقيات خصوصاً بعد التغييرات الكبيرة في السنتين الماضيتين؟! أم أن أسرارنا ومعتقلينا لا بواقي لهم وقضيتهم هامشية!!

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
لماذا أعداؤنا لا يتخذون قرارا ولا يسلكون مسلكا إلا وفق حسابات
ومقابل أشياء ولو وقتية أو مصالح لكيانهم؟! أما نحن - والله

هنالك
وسائل
وعوامل
ضغط
قد تخفف
من معاناة
العديد من
الأسرى

المستعان - نقدم التنازلات لتلو التنازلات مع مضاعفة الويلات واستمرار معاناة الأسرى والأسيرات ثم مزيد من التراجعات!

لو تأملنا قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي، وكيف قبل رأس قيصر الروم مقابل تخلية سبيله فأبى إلا جميع الأسرى من المسلمين فقبل قيصر، ليقول عمر رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ بذلك. مع الإقرار بالضعف والمواقف الهزيلة تجاه قضية فلسطين، لكن هنالك وسائل وعوامل ضغط قد تخفف من معاناة العديد من الأسرى، خصوصاً أصحاب الأحكام الإدارية، من خلال إعادة النظر ومراجعة ما تسمى «اتفاقيات السلام» وجميع سياسات الخنوع والخضوع، وفي حالة اضطرار أي دولة عربية أو إسلامية - أيا كانت المبررات والضغوط - لعقد مثل هذه الاتفاقيات حتى أصبحت واقع حال، فلا بد أن تتضمن بالصدارة قضية

الأسرى والحصول على مكاسب ولو جزئية، فما لا يدرك كله لا يترك جله، مع عدم إهمال بقية القضايا الهامة كالأقصى والمغتصبات وغيرها.

منذ
عام ١٩٦٧م
أصدرت
الجمعية
العامة
للأمم المتحدة
١٨٧ قراراً
بشأن
الأسرى
الفلسطينيين

الإعلام في زمن الإعلام يكاد يكون مغيب أو ضعيف، لنصرة الأسرى مع أن هذا أضعف الإيمان، من خلال تخصيص فقرات ثابتة وتكثيف الجهود والتنسيق بين مختلف المؤسسات الإعلامية، وتوحيد الخطاب ورفع سقف المطالب وتحشيد الرأي العام الإسلامي والعربي والدولي، مع ضرورة تخصيص قناة فضائية مستقلة غير مسيسة أو متحيزة للتركيز على قضية الأسرى في السجون الصهيونية وكافة المعتقلين المظلومين أينما تواجدوا.

متاجرة مفضوحة

من أكثر القضايا حساسية وتعقيداً بل متاجرة وانتهازية؛ قضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الصهاينة، لتشعبها وكثرة متعلقاتها وأهميتها وملاستها للعاطفة الدينية والأحاسيس الإنسانية، وتعاطف الجميع معها ولو من قبيل التصريحات والشعارات والجمععات الإعلامية، فهي تشكل هاجساً كبيراً وقلقاً عميقاً لكل مسلم أو حر في هذا العالم.

منذ عام ١٩٦٧م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٨٧ قراراً بشأن الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الصهاينة، دعت الكيان الصهيوني لضرورة إطلاق سراحهم والتعامل معهم وفق الأعراف الدولية وقوانين حقوق الإنسان!!

لكن هذه القوانين إذا لم يكن فيها إلزام - وهذا هو الحاصل - لا تعدو أن تكون كالحبر على الورق، أو الضحك على الذقون وذر الرماد في العيون، بالنتيجة يصبح وجودها أكثر ضرراً من عدمها، لما يحصل جرّأها من آمال فارغة وتنفيس وإفراغ للشحنات وتضييع للأوقات، وفي نهاية المطاف يكون هنالك يقين بالمتاجرة بقصد أو بغير قصد.

عندما تُعقد مؤتمرات دولية أو عربية، لنصرة الأسرى والتضامن معهم والخروج بتوصيات وتشكيل لجان عمل وفرق مختلفة بعدة تخصصات؛ ظاهرياً شيء جميل وأمر طيب، بشرط أن يكون على قدر المسؤولية وعظم القضية، من غير تسلق أو متاجرة، وأن تتوافق الأطروحات النظرية والتوصيات المثالية، مع الحقائق العملية على أرض الواقع، دون إهمال أو إغفال لحالات قريبة للناظر، إلا من أعمى الله بصيرته حتى ينطبق عليه المثل « من لا يرى من الغربال أعمى !

أَسْرَى
لِمَنْ
تَلَطَّخْتَ
يَدَاهُ
بِدِمَائِهِ
الْفِلَسْطِينِيِّينَ
فِي الْعِرَاقِ
يَنْصُرُهُمْ
أَسْرَاهُمْ
فِي فَالَسْطِينِ

المواقف السياسية والمؤتمرات البروتوكولية والمجاملات الآنية، إذا لم تتطابق مع إرادات حقيقية ونوايا صادقة وعزيمة فعلية، ستكون نفاق محض ومهاجرة مفضوحة وتسلق سياسي سافر، على حساب جراحات الأسرى وقضيتهم العادلة.

إن مشكلة المؤتمرات تكمن في أنها لا تبني على ما وقعت عنده المؤتمرات التي سبقتها، إضافة إلى أن جل ما تخرج به من توصيات لم ير النور وبقي حبراً على ورق، ونتائج معدومة^(٢٩)، وفي هذا دليل على عدم تكامل هذه الملتقيات كما أنها لا تحقق الثمار والنتائج المرجوة!

من أغرب العجائب والمهاجرة المفضوحة بقضية الأسرى؛ المؤتمر المنعقد في بغداد بتاريخ (١١-١٢) ديسمبر ٢٠١٢م للتضامن مع الأسرى الفلسطينيين والعرب في سجون الصهاينة!! برعاية الجامعة العربية ولأول مرة وبحضور شخصيات من سبعين دولة، وقيل قديماً: الدعاوى إذا لم تقم عليها البيئات فأصحابها أديعاء!!

فكيف إذا كانت البراهين والوقائع والأدلة على العكس تماماً؟!؟

هل

الفلسطيني

داخل

الأرض

المحتلة

يختلف عن

هو في

العراق؟!؟

يقال في المثل «عش رجبا ترى عجباً» وفاقد الشيء لا يعطيه، فأنتي

لمن تلطخت يدها بدماء الفلسطينيين في العراق ينصر أسراهم في

فلسطين؟!؟ ولا زالت الدماء لم تجف، إذ أكثر من ٣٠٠ شهيد بإذن

الله سقطوا في العراق منذ عام ٢٠٠٣م على يد ميليشيا جيش المهدي

وقوات بدر وحزب الدعوة، ناهيك عن حالات الاختطاف والتعذيب

الهمجي بأبشع وسائل عرفها التاريخ، وقصف مجمع البلديات بما فيه

جامع القدس لأكثر من مرة، أضف لذلك قمنا بتوثيق أكثر من ٥٠٠

حالة اعتقال تعسفي طائفي بحق فلسطينيين من قبل القوات الأمنية

الحكومية العنصرية الطائفية، فكيف يقوموا بنصرة أسرانا؟!؟

الآن ونحن مع نهاية عام ٢٠١٢م لدينا ٤٠ معتقلاً فلسطينياً موزعين بعدة سجون ومعتقلات، تم اعتقالهم عن طريق ما بات يعرف «المخبر السري» والدوافع طائفية محضة وهم أبرياء، وتحت التعذيب والإكراه يدلوا باعترافات وأشياء لم يرتكبوها، وبعضهم عُرض بطريقة مهينة على قنوات عراقية رسمية والاعتراف المفبرك أمام الكاميرا ما يزيد الحقد العام على الفلسطينيين ونحن على يقين أن هؤلاء أبرياء.

لدينا شاب محكوم بالإعدام وآخر مؤبد، فعن أي أسرى يتحدث المالكى وحكومته؟! هل تعلمون أن أكثر من ٨٠٪ من فلسطينيي العراق تم تهجيرهم إلى خارج العراق موزعين لأكثر من خمسين دولة غالبيتها أجنبية؟! فهل الفلسطيني داخل الأرض المحتلة يختلف عن هو في العراق؟!!

إن المتاجرة بقضية الأسرى وصلت مرحلة من النفاق والكذب والخداع، ما لا تخفى على أحد، لأن من أبرز أهداف هذا المؤتمر ليس الأسرى لأنهم على يقين وعلم مسبق بما سيحصل من مجاملات وفنادق ودبلوماسية أكثر ما هو نصرة فعلية، لكن أهدافه تلميع صورة الحكومة الطائفية وتبييض تاريخهم الأسود المملوح بالدماء والحقد والكراهية والانتقام، فهو نفاق سياسي وتسلق واضح ودعاية إعلامية مجانية!

كان الأولى عقد مؤتمر والحديث عن الاضطهاد الذي تعرض له سنة العراق من قبل هذه الحكومة الطائفية، والسجون والمعتقلات السرية تشهد بذلك واغتصاب النساء أصبحت من الشهرة بمكان ما تناقلتها العديد من وسائل الإعلام، بل لا يكاد يمر شهر إلا وتقارير المنظمات الحقوقية تشير إلى سجون سرية وحالات تعذيب في العراق.

العراق من أكثر الدول انتهاكا لحقوق الإنسان إذ جاءت بالمرتبة الثانية بعد إيران للدول الأكثر انتهاكا لحقوق الإنسان في الشرق الإسلامي

كان
من المفترض
على السلطة
الفلسطينية
قبل المشاركة
وضع مطلب
إطلاق سراح
المعتقلين
الفلسطينيين

«الشرق الأوسط» كما صرحت بذلك وزيرة حقوق الإنسان العراقية «وجدان ميخائيل» بحسب صحيفة الاتحاد العراقية!

كان من المفترض على السلطة الفلسطينية قبل المشاركة بمثل هكذا مؤتمر، وضع مطالب وشروط مسبقة من أبرزها إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين، وبنفس الوقت يكون مطلب الجامعة العربية إطلاق سراح المعتقلين العرب البالغ عددهم ٤٦٢ معتقلاً، لكن إهمال هذه المطالب العادية يدل وبشكل قاطع على المتاجرة بقضية الأسرى.

ثم أين المشاركون عن الأسرى والمعتقلين السوريين والفلسطينيين في سجون النظام السوري؟! وقد تجاوز عددهم ١٠٠ ألفاً! لماذا لا يُعقد مؤتمر خاص بهم ويطلق سراحهم ويتضامن معهم أم لأنهم لا بواكي لهم؟! والنبي عليه الصلاة والسلام يقول (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) ^(٣٠)، أم أن المتاجرة باتت مكشوفة وازدواجية المعايير أضحت بازغة!

ألم يكن

الأجدر

مناقشة

قضية

اللاجئين

الفلسطينيين

في العراق

في القانون

الدولي

ألا يعلم المشاركون من الجامعة العربية والسلطة الفلسطينية وبقية الشخصيات ما الذي حصل لفلسطينيي العراق في ظل هذه الحكومات الطائفية؟! أما سمعوا النداءات المتكررة والاستغاثات المستمرة لحد يومنا هذا؟!!

وحتى نؤكد أن متاجرة سافرة بقضية الأسرى ومن خلال رصدنا بعض المحاور التي نوقشت في المؤتمر، يتبين لنا مدى التناقض الحاصل بمعزل عن أي أحداث وانتهاكات أخرى وكأن الحكومة العراقية بعيد هذا المؤتمر ستطلق سراح الأسرى مباشرة، ولا توجد أي انتهاكات لحقوق الإنسان فضلاً عن الفلسطيني في سجونهم السرية والعلنية!!

ناقش المؤتمر وضع الأسرى الفلسطينيين في القانون الدولي! وهذا

بالظاهر جيد لكن ألم يكن الأجدر مناقشة قضية اللاجئيين الفلسطينيين في العراق في القانون الدولي والعراقي؟! وماذا لم يُتطرق لقضية المعتقلين الفلسطينيين وكلنا يعلم كيف تتم حالات الاعتقال والتعذيب والتهديد بالعرض و جلب النساء ما يضطر المعتقل التصريح بأشياء لم يقم بها، ثم يعرض بعضهم على القنوات ثم يستمر التعذيب ثم يحال للقضاء ومن أنكر عند القاضي يعاد التحقيق معه ويعاد التعذيب، حتى توفى بتاريخ ٢٠١٢/١٢/٣١م معتقلين عراقيين اثنين في سجن التاجي وجرائم إرهاب ديالى لهذا السبب!!

من خلال تواصلنا مع بعض المعتقلين داخل السجون العراقية فهم يخشون من أحكام قادمة كبيرة وهم أبرياء، فأين تدخّل السلطة وأين وعود المالكى للرئيس الفلسطينى محمود عباس بالقامة العربية الماضية في بغداد بإطلاق سراح الأسرى؟!؟

كما ناقش المؤتمر ممارسات سلطات الاحتلال تجاه الأسرى وهذا أيضا شيء طيب ومهم، لكن من سيناقش ما تعرض له معتقلونا في لواء الذيب سيء الصيت؟!؟ وبقية المعتقلات والسجون الطائفية التي أذاقت الفلسطينيين وغيرهم من العراقيين الأبرياء سوء العذاب، حتى وثّقنا بلقاءات مع مفرج عنهم تحدثوا عن فظائع وانتهاكات فاقت التصورات!! فمن سينصفهم ويقف مع قضيتهم أم أن المتاجرين ليس لديهم وقت يضيع بعيدا عن المنطقة الخضراء؟!؟

ومن الأشياء التي ناقشها المؤتمر أيضا دور المؤسسات الحقوقية والمجتمع المدني إزاء الأسرى المحررين!! وأنا أتمنى منهم فقط أخذ عينة واحدة من معتقلين مفرج عنهم متواجدين الآن في السويد وبلجيكا وقبرص وغيرها من دول المهجر الجديد، ويسمعوا شهاداتهم وذمة رسوله

من أمان
ظالما
ليدحض
بباطله
حقا فقد
برئت منه
ذمة الله
وذمة رسوله

ويطالبوا بحقوقهم إذا كانت معاييرهم واحدة دون ازدواجية!! أم أن فتح هذا الملف سيمنعهم من حضور أي مؤتمر لاحق في العراق لأن رعاة المؤتمر هم المجرمون والجنّة والمتسترون!! معادلة غريبة أليس كذلك!!

يقول عليه الصلاة والسلام: (من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله و ذمة رسوله)^(٣١)، والله وبالله وتالله يُخشى على المشاركين بهذا المؤتمر وتزكيتهم للقتلة ومنتهكي حقوق الأسرى والمساجين والمعتقلين، وإعطاء غطاء قانوني لمزيد من تلك الجرائم، لأنه بسبب هذه المشاركة ظن هذا النظام بأنه على حق وما فعله ليس ظلماً ودليله مشاركة واسعة بحسب زعمهم في هذا المؤتمر! عرض المؤتمر أيضا شهادات حية لأسرى وأسيرات محررين، فهلا عرضوا شهادات موثقة لمعتقلين فلسطينيين أو عراقيين مفرج عنهم من سجون المالكى ولدينا كل هذه الوثائق

مصورة!! أم أن أسرانا ومعتقلينا في العراق غير مشمولين بحقوق الإنسان أو طرح قضيتهم في المؤتمرات أو حتى الاستماع لشهاداتهم!! لأنها شهادات تدين منظمي المؤتمر وطالما نحن في زمن النفاق والتملق وتضييع الحقوق فلا داعي لطرحها الآن لأنها ستعكر صفو المؤتمر وتنغص نعيم الفنادق التي يقيمون بها!!

الخلاصة

قضية الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين بالسجون الصهيونية أو غيرها من المعتقلات كالعراق وسوريا؛ قضية عادلة وهامة للغاية ، بالمقاييس الشرعية والوطنية والإنسانية بل أدنى حقوق الإنسان التي يتبجح بها العالم المعاصر!! بل هي من أعظم مقاصد الجهاد في سبيل الله، ولا بد من الجميع بذل قصارى جهدهم والعمل على فكك

لا يمكن
القيام
بنصرة
حقيقية
للأسرى في
ظل الضعف
والهوان
والتشردم

أسرهم والتخفيف من المظالم التي وقعت عليهم؛ دول وهيئات ومنظمات وأفراد وفصائل وأحزاب.

الحضارات والديانات والإمبراطوريات السابقة عبر التاريخ، كانت تعامل الأسرى معاملة وحشية قاسية بعيدة عن أي إنسانية، وما يحصل الآن في سجون الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية للأسف، ما هو إلا ثقافة سادية بربرية قدوتها تلك الحضارات، أما الإسلام فقد أعطى للأسير حقه في العيش والطعام والشراب والكرامة.

لا يمكن القيام بنصرة حقيقية للأسرى في ظل الضعف والهوان والتشرذم الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فكم نحن بحاجة لقائد يقول للأعداء الجواب « ما ترى لا ما تسمع! » لكن أضعف الإيمان أن تبذل الأمة كل ما بوسعها ماديا وسياسيا وإعلاميا وحقوقيا وقانونيا لإطلاق الأسرى أو تقليل الضرر الواقع عليهم كأضعف الإيمان، وإلا أثمت الأمة جمعاء وكل بحسبه.

جميع الجهود من مؤتمرات وتجمعات وبيانات ظاهرها نصرة الأسرى؛ تعتبر مفرغة من محتواها إذا كانت مجرد لقاءات دبلوماسية بروتوكولية إعلامية بعيدة عن حقيقة المعاناة، وتحركها أجندات سياسية لتلميع صورة نظام ما أو التسلق على ظهر القضية الفلسطينية، دون النظر لأحوال معتقلين فلسطينيين - في العراق وسوريا مثلا- يتعرضون لوسائل انتقام فظيعة قد تفوق وسائل الكيان الصهيوني من حيث التعذيب والإهانة والإذلال!

لا ينبغي التعاطي والتعامل مع تلك القضية باندفاع زائد عن الحد وعاطفة وقتية، لا بد أن نكون واقعيين وأن لا نجري الأمور، ولا أن نقبل بالمتاجرة بجراحاتنا من خلال نظرة ضيقة وحسابات بمنظور

جميع
الجهود
من مؤتمرات
وتجمعات
وبيانات
ظاهرها
نصرة
الأسرى لكن
تعتبر مفرغة
من محتواها

قريب، وإغفال النتائج السلبية المترتبة على تلك النظرة، وإهدار حقوق عدد من اللاجئيين
كفلسطينيي العراق أنموذج شاخص وقريب!

● الهوامش :

- ١- (الإنسان: ٨).
- ٢- الإسراء والمعراج، د. صلاح سلطان، ص ٤٧-٤٨.
- ٣- تجربة التعذيب لدى الأسرى الفلسطينيين وعلاقتها بالتفكير الأخلاقي، رسالة ماجستير ص ١٦.
- ٤- حقوق الأسرى في الإسلام، د. صالح الشثري.
- ٥- رواه البخاري.
- ٦- تفسير القرطبي (٢/ ٢٢).
- ٧- المصدر السابق.
- ٨- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ ... الآية﴾ النساء: ٧٥.
- ٩- أحكام القرآن لابن العربي.
- ١٠- مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٤٢).
- ١١- أحكام الجهاد وفضائله، ص ٩٧.
- ١٢- الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك ص ١٥٢-١٥٣.
- ١٣- فضل الأوقاف في بناء الحضارة الإسلامية.
- ١٤- تهذيب كتاب مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق ص ٢٦٢-٢٦٣.
- ١٥- المصدر السابق ص ٢٦٣.
- ١٦- مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧).
- ١٧- تجربة التعذيب لدى الأسرى الفلسطينيين وعلاقتها بالتفكير الأخلاقي، رسالة ماجستير.
- ١٨- مركز الأسرى للدراسات، عبد الناصر فراونه.
- ١٩- (البقرة: ١٠٠).
- ٢٠- ينظر: تجربة التعذيب لدى الأسرى الفلسطينيين وعلاقتها بالتفكير الأخلاقي، رسالة ماجستير.
- ٢١- ينظر: تعذيب الأسيرات في سجون الاحتلال، هبة شاويش.
- ٢٢- ينظر: الأسرى الأطفال في السجون «الإسرائيلية» طفولة مسلوقة، هبة شاويش.
- ٢٣- أخرجه البخاري.
- ٢٤- صححه الألباني في إرواء الغليل برقم ١٢١٨.
- ٢٥- المصدر السابق برقم ١٢١٧.

- ٢٦- صحيح الترغيب برقم ٢٢٣٠.
- ٢٧- صحيح الجامع برقم ٧٠٣٤.
- ٢٨- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية ص ٢٦٩-٢٧٠.
- ٢٩- مقال بعنوان «مؤتمرات الأسرى.. متى ستخرج من الجدران المغلقة؟!»، مريم الشوبكي.
- ٣٠- صحيح الجامع برقم ١٥٠١.
- ٣١- حديث حسن انظر صحيح الجامع برقم ١٠٢٠.

سلسلة بيت المقدس للدراسات



الصراع مع اليهود وأثره في العلاقة مع الغرب ٢/١

• جهاد العايش

الصراع مع اليهود وأثره في العلاقة مع الغرب

الحديث

عن موضوع كهذا فيه صعوبة بالغة ، لأننا نتحدث عن غرب ليس له مبادئ أو قيم أو أخلاق يحترمها بل لم تعد من زمن عقيدته وكتابه المقدس الذي يدين به مقدس مصان ، بل كل ما جاء فيه متغير وقابل للّي أو الإلغاء أو التحريف^(١) ، وهذا العبث الذي مارسوه سابقا ولا زالوا يمارسونه في أسس عقيدتهم ، جعل الباحث والراصد لمستقبل الغرب في عجز عن تنبؤ مستقبلهم ، بيد أن المعطيات والأدوات التي يمكن للمراقب أن لا يغفل عنها هي سنن الله الشرعية والكونية في أقوام مثل هؤلاء . وينبغي إعمال الفكر واستشراف المستقبل في نقاط لا يمكن أن ننقلها بالاستدلالات ونصوص منقولة من هنا وهناك من غير أن نقدم حلوّاً واقعية تتناسب وحال الأمة وحجمها وقدراتها .

لقد وضعت نصب عيني أن لا أحمل المبحث ما لا يحتمل باستدلالات حديثة من أقوال النبي ﷺ ، متعلقة في أحداث محلها آخر الزمان ، لأن في ذلك إفلاس وتخبط فكري وعبث في أحاديث النبي ﷺ وإنزالها في غير منزلتها .

كان لزاما عليّ أن أتطرق إلى تصريحات قادة دينيين وسياسيين غربيين عن حماستهم تجاه اليهودية ، لنكشف للقارئ دوافع توجهات الغرب الصليبي والسعي الحثيث لخدمة اليهود ، ومبررات ذلك .

لكنني على يقين أنني أتحدث عن ماضٍ ينبغي أن نستفيد منه دون أن يأسرنا ، ومرحلة مات رجالها ، ويجب الحديث عن مرحلة مقبلة نعيش إرهاباتها ، وكما استطاع اليهود بمكرودهاء في زمن غفلة كثير من الشعوب الغربية ، وغفوة إسلامية عالمية ، لا يعني ذلك أبداً أننا في غفوة دائمة أو أنهم في يقظة مستمرة ، بل إن المتغيرات العالمية

الراصد

لمستقبل

الغرب

في عجز

عن

تنبؤ

مستقبلهم

بجملتها والإسلامية بخصوصيتها تنبؤ بحراك يسير في طريق التحرر والتحرير، بل أقول وبكل ثقة وبقين أنه يمكن لنا أن نغتتم الفرصة لتكون سببا في تغيير الغرب أو تحييده، أدعو إلى ذلك يكون سببا في إزالة غشاوة مصطنعة، مبررة أو غير مبررة، عن عظمة مزعومة في أغلبها لليهود .

كما أنني على يقين أن القطبية الواحدة في قيادة العالم التي تفرقت بها الولايات المتحدة الأمريكية وذيلها والأوروبي له ردحا من الزمان، هي إلى زوال وسيحل مكانها أو ينافسها على الأقل دول مرشحة لتتبوأ مكانة جديدة على عرش العالم، كروسيا مثلا التي تنامت قوتها الاقتصادية، والصين التي تعاضمت مكانتها الاقتصادية وعلى غرارها العسكرية بعد أن تفتقت آفاقها السياسية، ويدعم ذلك كله الكثافة الديموغرافية الصينية والمسيطر عليها أينيا والمنسجمة في أغلبها عرقيا .

تجد في هذا المبحث الماضي العلاقات الغربية الصهيونية كيف حدثت، والحاضر كيف أصبح، والمستقبل كيف يكون . والله تعالى أعلى وأعلم .

القطبية

الواحدة في

قيادة العالم

التي تفرقت

بها الولايات

المتحدة

إلى زوال

المبحث الأول : اليهود^(٢) أنواعهم وتقسيماتهم^(٣) والمعنيون في صراعنا معهم .

لليهود تقسيمات بناء على وجودهم الجغرافي : الأشكناز وهم يهود أوروبا ، والسفارديم وهم الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية تحدثوا العربية في عهد الدولة الأندلسية ثم تحدثوا الأسبانية واعتزوا بها كما أنهم كانوا يتعالون على اليهود الأشكناز ولا يتزوجون منهم بحكم ثقافتهم الحضارية التي اكتسبوها من العرب في الأندلس ، وأخيرا اليهود الشرقيون وهم الذين غادروا فلسطين بعد السبي البابلي وتفرقوا في إيران والعراق وشمال أفريقيا .

وهم في جملتهم تجاه الدول الإسلامية ، نوعان :
النوع الأول : يهود ذميون^(٤) لم يهاجروا إلى فلسطين ولم يدعوا أو يدعموا فكرة الهجرة إليها ، أو يعلنوا الحرب على أهلها ولا على أي دولة إسلامية ، وارتضوا العيش بيننا وتحت حكمنا ، وهؤلاء ليسوا هم المعنيون في هذا المبحث .

النوع الثاني : محاربون^(٥) ، أعلنوا الحرب على الإسلام وأهله حملوا السلاح وأوجبوا الهجرة إلى فلسطين وانتزعوا الأرض من أهلها الأصليين وفرضوا دينهم ومبادئهم كقوانين سيادية على شعبها الأصليين من المسلمين الفلسطينيين ، وهذا النوع من اليهود اصطلح عليه المختصون مصطلح «الصهاينة» ليفرقوا بينه وبين الصنف الأول . واصطلحوا على تعريف الصهيونية : «أنها الاعتقاد بضرورة تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه في فلسطين ، ويحقق أمل اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة» وبتفسير آخر : « حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود ، كما تستمد حيويتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في أذهانهم»^(٦) . ونظرا لأهمية التمييز بين الفريقين فإن صراعنا ينبغي أن يوجه إلى هذا الفريق وهذا النوع من اليهود الذي أعلن الحرب على المسلمين واحتل فلسطين .

المطلب الأول : يهود يرفضون الفكرة الصهيونية في تأسيس دولة قومية يهودية إثنية^(٧) . وهم على قسمين :

الأول : هو من يعيش لذاته وشهواته ولا تعنيه يهودية ولا صهيونية وليس له بها سوى الانتساب الاسمي فقط^(٨) ولا يبحثون عن بديل للأوطان التي يعيشون فيها وضربوا جذورهم بها .

صراعنا
ينبغي
أن يوجه
إلى اليهود
الذين
اعلنوا
الحرب
على المسلمين
واحتلوا
فلسطين

الثاني: من يعتقدون ديانة رفض فكرة الدولة اليهودية ، وتقوم فلسفتهم على أساس انتظار المخلص « الماشيح » دون عمل لتأسيس كيان سياسي ، وهم يعارضون الصهيونية وما أتت به من أفكار دخيلة على اليهودية ويعدون لها من البدع ، كما أنهم فرّق متعدد وأهمها الطائفة «الأرثوذكسية» ومن يطلق عليهم « الحريديم ^(٩) » و«الربانيين» و«حركة ناطوري كارتا» و«الإصلاحيين» و«السامرة» في فلسطين ، وغيرهم من جماعات يهودية متعددة وفي مواطن مختلفة ^(١٠). وتتلخص عقيدة هؤلاء تجاه الهجرة إلى فلسطين، بالتالي ^(١١):

يجب عدم الإلحاح في الصلاة لقدم المسيح المخلص ، تجنباً لمجيئه قبل الموعد المحدد .
عدم جواز الهجرة الجماعية إلى فلسطين .

يُحظر التمرد على غير اليهود .

نعم يرى كثير من اليهود أن دولة إسرائيل بدعة في الديانة اليهودية ، فقد صدر عن مؤتمر بتسبرج قرارات سميت باسم «المؤتمر» (١٨/١٦) نوفمبر عام ١٨٨٥م). الذي حضره ١٨ حاخاماً إصلاحياً. وهو المؤتمر الذي أصدر قرارات صريحة ترفض فكرة عودة اليهود إلى فلسطين واستعادة العبادة القربانية . ^(١٢)

و يؤكد الحاخام «يسرائيل ديفيد فايس» أحد أشهر الحاخامات اليهود المُعادين للصهيونية ، والناطق الرسمي باسم منظمة « ناطوري كارتا » أنه يعارض قيام ما يسمى « دولة إسرائيل » والفكر الصهيوني ، وأن «إسرائيل» إرهابية وينبغي محاكمة قادتها أما محكمة جرائم الحرب الدولية ، ولن يكون هناك سلام أو استقرار في العالم إلا بإزالة « إسرائيل » .

يُرى
كثير
من اليهود
أن دولة
إسرائيل
بدعة في
الديانة
اليهودية

كما أصدر اللوبي اليهودي الجديد في أوروبا الذي يطلق على نفسه اسم « جي كول » بياناً بمناسبة مرور ٦٢ عاماً على النكبة . بعنوان « نداء العقل » ، وقَّع عليه قرابة الخمسة آلاف يهودي أوروبي على رأسهم شخصيات مرموقة ، رفضوا فيه تحدث إسرائيل باسم يهود العالم ، وطالبوا وقف الاستيطان واحترام حقوق الإنسان وإنهاء احتلالها غير الشرعي ، وإقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة .

وفي مقابلة تلفزيونية أجراها Neil Cavuto من محطة فوكس الإخبارية الأمريكية الشهيرة مع رجل الدين اليهودي الأرثوذكسي «الراب» Yisroel Weiss ووصفتها القناة : بأنها مهمة للغاية . قال : هذه وجهة نظر متفق عليها عبر المائة سنة الماضية أي منذ أن قامت الحركة الصهيونية بخلق مفهوم أو فكرة تحويل اليهودية من ديانة روحية إلى شيء مادي ذي هدف قومي للحصول على قطعة أرض وجميع المراجع قالت أن هذا الأمر يتناقض مع ما تدعو إليه الديانة اليهودية وهو أمر محرم قطعاً في التوراة لأننا منفيون بأمر من الله .

وكتب الحاخام هيرش عام ١٨٣٧م ، يقول : إن الله أمر اليهود (بالأ) يقوموا أبداً بإنشاء دولتهم بأنفسهم ومن خلال جهودهم) ، وفي نفس العام الذي حظر فيه الهجرة وقع زلزال في مدينة صند و قتل فيه الغالبية العظمى من اليهود المهاجرين وقد أرجع الحاخام «موشيه البولندي» ذلك إلى عدم رضا الرب عن الهجرة الزائدة إلى فلسطين . وقد أفاد الحاخام «ديفيد شلومو فيلدمان» من بريطانيا والوفد المرافق له من حاخامات حركة «يهود ضد الصهيونية» في لقاءهم بالشيخ يوسف القرضاوي في قطر: بأن مشاكل الصراع بالمنطقة ستختفي بين يوم وليلة إذا زالت إسرائيل، ودعا الوفد اليهودي إلى ضرورة زوال

مشاكل
الصراع
بالمنطقة
ستختفي
بين يوم
وليلة
إذا زالت
إسرائيل

إسرائيل، مؤكداً أن قيام تلك الدولة التي تصف نفسها باليهودية مخالفة صريحة للتوراة. أما الحاخام «دوفد يتسرايل وايس» من الولايات المتحدة والمتحدث باسم الحركة، فقال إن الصهيونية حركة ظالمة ومعتدية وتقلل من قيمة الحياة اليهودية، وأن هرتزل لم يكن متديناً وأراد نقل الحركة من الدين إلى القومية واستغل جهل اليهود وأقنعهم بأن السبيل الوحيد للتخلص من مناهم هو انتهاك التوراة وقال: إن الآلاف من اليهود داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، إلى جانب مئات الآلاف من اليهود حول العالم ضد الفكرة الصهيونية.

وأضاف: حين وصل الصهاينة إلى فلسطين كان اليهود يعيشون مع جيرانهم العرب وأسسوا مجلس حاخامات لمحاربة الحركة الصهيونية، وفي عام ١٩٤٧م أرسل كبير الحاخامات «دوشنكي» إلى الأمم المتحدة قائلاً: «لا نريد دولة صهيونية» معتبراً أن الأوفياء للتوراة لا يريدون دولة.

أظهرت

دراسة

مسيحية أن

اليهود

البريطانيين

يتعاطفون

بقوة مع

إسرائيل

ويؤكد «وايس» أن مصير إسرائيل إلى زوال، وأن «من يعمل ضد التوراة فلن ينجح» مستشهداً بتفكك الاتحاد السوفياتي، وزوال النظام العنصري من جنوب أفريقيا.

المطلب الثاني: يهود يؤيدون فكرة الدولة القومية اليهودية في فلسطين ويدعمونها لكن من غير الهجرة إليها .

ولهؤلاء مبررات منها استئناسهم بما هم فيه من مقام في دول اعتادوا عليها ورسموا مستقبلهم واكتفوا بالدعم والتأييد، لكنهم مع فكرة الدولة اليهودية ويقدمون لها الدعم والمساندة والنصرة .

يهود بريطانيا أنموذجاً: فقد أظهرت دراسة مسيحية أجراها معهد أبحاث السياسات اليهودية على أربعة آلاف شخص من يهود بريطانيا،

أن اليهود البريطانيين يتعاطفون بقوة مع إسرائيل، ويؤيدون حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وحسب هذه الدراسة فإن ٩٥% قالوا إنهم زاروا إسرائيل (مقابل ٨٧% بدراسة ١٩٩٥م)، وإن ٩٠% يرون في إسرائيل «أرض الأجداد» للشعب اليهودي. ويشعر ٨٦% بأن على اليهود مسؤولية خاصة لبقاء هذا الشعب، ويصنف ٧٢% أنفسهم بأنهم صهاينة. علماً بأن يهود بريطانيا أكثر تعلقاً بـ «الدولة العبرية» منهم في أمريكا ونقلت صحيفة «ذي جويش كرونكل أونلاين» البريطانية عن البروفيسور في السياسة الاجتماعية اليهودية «فينويورك ستيفن كوهين» قوله: «إن اليهودية البريطانية أكثر ارتباطاً بـ «إسرائيل» من اليهودية الأمريكية»^(١٣).

المطلب الثالث: يهود صهاينة يؤيدون ويدعمون فكرة دولة قومية يهودية إثنية على أرض فلسطين وأوجبوا على أنفسهم وغيرهم الهجرة إليها .

وتعتقد هذه الفرق بوجود الهجرة إلى فلسطين - قسراً^(١٤) - وتجميع اليهود بها وإقامة دولة يهودية تعجلاً بقدم المخلص من نسل داود، وهي الفئة المعنية مباشرة في حربها معنا، وهي الأكثر خطراً وهي التي أسست الكيان اليهودي في فلسطين، ومن أبرز هذه الطوائف اليهودية التي كرس كل إمكانياتها المادية والبشرية في دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين وهي من وصفت بالصهيونية تعددت أشكالها ومنظماتها والمنظريين لها، من أهمها حركة «الحسيديم»،^(١٥) وأما على صعيد المؤسسات والمنظمات والحركات الصهيونية العاملة في هذا الاتجاه والتي هي في أساسها تبعا لهذه الطوائف فهي أكثر من أن تُعد، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الحزب الديني القومي الإسرائيلي «المدال»، وحركة كاخ والهاجاناه وغيرهم من الحركات الصهيونية.

يهود
بريطانيا
أكثر
تعلقاً
بـ «الدولة
العبرية»
منهم
في أمريكا

المبحث الثاني : عقائد الغرب الصليبي ، واعتقاد كل منهم باليهودية .

إن الغرب الذي نقصد هم من يدينون بالنصرانية عقيدة مع اختلاف طوائفهم وهم من يدورون في فلك الصهيونية حيث دارت ، وفرقها الأساسية هي :

١- الكاثوليك : وهم من يتعاملون مع نصوص الإنجيل الخاصة باليهود بتفسيرات لاهوتية وليست حرفية ، لهذا لم يكونوا يقبلوا فكرة الدولة اليهودية ولا عودة اليهود إلى الأرض المقدسة (فلسطين) أو يقبلوا بالتصالح مع اليهود ، لأنهم يعتقدون بكفر اليهود قولا واحدا .^(١٦)

٢- الأرثوذكس : هو مصطلح مسيحي يعني « الاعتقاد الصحيح » ويشار إليها بالمفهوم اليهودي إلى « الأصولية اليهودية »^(١٧) . ويرى هؤلاء في الوجود اليهودي في فلسطين كما جاء في لقاء «شودة الثالث» بالرئيس الأمريكي السابق «كارتر» سنة ١٩٧٧م ، صرح الأول «بأن الكتاب - العهد الجديد- ليس فيه آية واحدة

من يدينون

بالنصرانية

عقيدة مع

اختلاف

طوائفهم

وهم من

يدورون

في فلك

الصهيونية

تقول بأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل ، ولكن هناك نبوءة صدقت وتحققت بعودتهم من المنفى على يد «قورش» ، وانتهى الوعد وأصبح واقعة قديمة ، لم يعد منها إلا الذكرى^(١٨) .

٣- البروتستانت : تأسست هذه الفرقة في ألمانيا في القرن ١٦م بقيادة «مارتن لوتر^(١٩)» كردة فعل على الكنيسة ، ليفتح الباب على مصراعيه في التعامل مع نصوص الإنجيل لكل أحد ، وأنها ليست حكرا على القساوسة فقط ، كما استبعد فكرة عدم الاعتماد على العهد الجديد (الإنجيل) دون أن يكون معه العهد القديم (التوراة) ككتاب مقدس غير منفصل عن الأول .

لقد سَوَّق هذا الأحق عقيدة تآكلت وكادت أن تنحصر في أزقة

«الجيتو»^(٢٠) التي لا رحابة فيها وهي عقيدة اليهود وكتابهم المحرف، فمع اتساع نطاق دعوة «مارتن لوثر» وانتشارها السريع على رقعة واسعة وجمهور غفير من النصارى الذي تقبل هذه الدعوة كردة فعل مرحب بها على كنيسة كانت سببا في جهالة جمهورها ردحا من الزمن وتخلضهم بين الشعوب .

كانت هذه الدعوة هي «قبلة الحياة» والنهضة الحقيقية التي أسعفت الجماعات اليهودية المنبوذة والمطاردة في الغرب تحديدا ومفرقة ليس لها آمال ولا ترقى أو ترتقي بين الأمم.

لقد كانت البروتستانتية نكبة ومحنة على أهلها ومنحة مجانية لليهودية وأهلها أطلقت سراحهم إلى عالم رحب لا حدود له .

لقد تحولت الحالة العدائية والكره بين اليهودية والنصرانية في الغرب إلى حالة حميمية بل تجاوزتها إلى حالة تبني للمشاريع التوراتية على أرض فلسطين .

لقد أسهمت « البروتستانتية » في إنشاء فضاء رحب لليهودية وجماعاتها المختلفة فأخرجتها من ضيق أزقة «الجيتو» إلى رحابة ما حققته «البروتستانتية» من انقلاب نوعي وكيفي ديموغرافي وجغرافي على مستوى خريطة العالم الغربي الصليبي .

لقد أسس «مارتن لوثر» عقيدة خادمة وبمعنى الكلمة لخدمة المشروع والأطماع الصهيونية التي لم يكونوا يتصوروا يوما ما أن تنهض بهم عقيدة وجماعة مسيحية تكون هي السبب الرئيس في إنعاش المشروع اليهودي المحتضر .

ولقد تمثلت المبادئ والعقيدة التي قامت ونادت بها «البروتستانتية» تجاه فلسطين ، ب :

كانت
البروتستانتية
نكبة
ومحنة
على
أهلها
ومنحة
مجانية
ليهودية
وأهلها

١- أن اليهود شعب الله المختار .
٢- وأن الأرض المقدسة (فلسطين) ملك وميراث لليهود وهو ميثاق قطعته الرب على نفسه .
٣- وأن مسيح النصارى لن يعود آخر الزمان إلا بتحقيق ما سبق وبكل السبل بعد تمكين اليهود منها بكل ما أوتوا من قوة ، ومهما كلف من ثمن ، وأن الله تُوعد من رفض خدمة اليهود فيها أو العودة إليها بالإبادة ، والكثير من الهرطقات التي لا يتسع المجال لذكرها .
ومع انتشار « البروستانتية »^(٢١) كمأ ونوعا في العالم الصليبي الغربي واختراقها لكثير من الجماعات الصليبية هناك ، أعطى كل ذلك المشروع الصهيوني منطلقا وفي كل الاتجاهات لتحقيق ما لم يكن في أحلامهم يوما بل فتح شهيتهم إلى مزيد من أطماع وجدوها غنيمة باردة لا جهد فيها ولا جهاد .

إن الغرب الذي نعنيه في هذه الدراسة هم تحديدا الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي بمجموع دوله ، مع قناعتنا أن كل منهما متفاوتة في تمسكه ومدى علاقته بعقيدته ، وأهم ما يميز كل منهما ، فقديما تبرأت أوروبا من الدين وحاربه وتبنت العلمانية مذهبا رسميا لبلادها ، وأما أمريكا استطاعت تسييسه لخدمة مصالحها والقائمين عليها .

قديمًا
تبرأت
أوروبا
من الدين
وحاربه
وتبنت
العلمانية
مذهبا
رسميا
لبلادها

المطلب الأول : الغرب ليس لونا واحدا في التعامل مع الصهيونية ، والعالم ليس صهيوني .

لا يظن ظان أن الاتحاد الأوروبي تحديدا منسجم انسجاما كاملا فيما بينه ، بل هو خليط من عقائد وأفكار صليبية مختلفة متناحرة ولغات وعادات وتقاليد متباينة وأولويات متضادة ، وليست كلها متفقة في مسألة التدخل في الصراع اليهودي في فلسطين ، إلا بقدر توافق عليه الجميع وهو محاربة الإسلام وأن لا يكون له شوكة ، والتخلص من العبء اليهودي في أوروبا .

١- إن دول «الاتحاد الأوروبي» ليست متفقة على سياسة التدخل في شأن الصراع الصهيوني في فلسطين.

٢- كما أن أمريكا لا تسمح للأوروبيين بالتدخل المباشر بشأن الصراع في المشرق الإسلامي إلا من خلالهم أو بتوصية منهم .

وقد يكون أعضاء الاتحاد الأوروبي متفقون على لعب دور سياسي أو حتى عسكري تجاه مشاكل المشرق الإسلامي ، وتحديدًا قضية فلسطين ، لكنهم قد يكونون مختلفين على القدر المطلوب من التدخل ونوع التدخل وتوقيته .

وأحيانًا تكون توجهات الاتحاد الأوروبي مخالفة تمامًا لما يطمناه^(٢٢) الصهاينة ، ومن ذلك ما تقدمت به كل من إسبانيا وإيطاليا وفرنسا عام ٢٠٠٦م، بمبادرة وخطة سلام تضمنت وقف إطلاق النار بين كلا الطرفين الفلسطيني والصهيوني ، وعقد مؤتمر سلام دولي ، وتشكيل حكومة وطنية فلسطينية معترف بها دوليًا ، وإرسال قوات سلام دولية، لكن ردَّ الكيان الصهيوني كان بالرفض تمامًا لهذه المبادرة .

ويطالعا بين الحين والآخر الكثير من المؤسسات الغربية بأنواعها التي ترفض وبصوت عال الممارسات التي يمارسها الكيان اليهودي ضد الشعب الفلسطيني ، فقد أثار حفيظة الكثير منهم ما قام به الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠م على إثر اقتحام شارون المسجد الأقصى وبرفقته ٣٠٠٠ جندي صهيوني من حرس الحدود تسببت في أحداث عرفت بانتفاضة الأقصى مما دفع نقابة الجامعات والمعاهد ببريطانيا « يوسي يو » كبرى نقابات التعليم العالي في بريطانيا الذي يضم في عضويته أكثر من (١٢٠) ألف منتسب، تبني قرار مقاطعة الجامعات العبرية تضامنا مع الفلسطينيين؛ بل طالب القرار الاتحاد الأوروبي

الاتحاد
الأوروبي
متفقه
على
لعب دور
سياسي
تجاه
مشاكل
المشرق
الإسلامي

العمل على مقاطعة المؤسسات الأكاديمية العبرية ووقف الدعم المالي لها^(٢٣). وتلى ذلك الدعوة لمقاطعة المنتجات التي تصنع في المغتصبات اليهودية في الضفة الغربية، وعلت أصوات الكثير من المؤسسات المدنية في الغرب المطالبة في اتخاذ قرارات وإجراءات بحق هذا الكيان الظالم، وترادف مع ذلك تراجع في تأثير اللوبي الصهيوني متمثلاً في المؤسسات بكل قطاعاتها.

ولا يدفعنا هذا إلى إحسان الظن بالغرب فهم ليسوا أهلاً لهذا، ولا يرغبون منا إلا أن نميل إلى ما مألوا إليه ونحيد عن صراط ربنا تبارك وتعالى، والله تعالى حذرنا فقال:

﴿وَدُّوا لَوْ نُودِيَ لَهُمْ فَيُدَّهِنُونَ﴾^(٢٤)

فهو يتحرك وفق سياسة «الثابت والمتحرك» والثابت هي استراتيجيات لا يحيد عنها وهو اتفاهم جميعاً على حرب الإسلام ورفض تنامي أي قوة معنوية أو مادية له.

صحيح أن العالم ليس كله صهيوني لكن الدعاية الصهيونية هي المؤثرة والمتحركة والمناورة بقوة على الساحة الإعلامية العالمية بخطط مدروسة وخطوات محسوبة وبكل دهاء^(٢٥) ومكر من غير اعتبار لأي مبدأ أو قيمة أو دين.

واستطاع الصهاينة وبمكر إقناع بل القيام بأكبر عملية غسيل دماغ في العالم قام بها اليهود عبر التاريخ كله.

ومن ضحايا هذه الأكاذيب على حد زعمه وتعجب لما ينقله^(٢٦) الرئيس الأمريكي السابق «جيمي كارتر» من تفاصيل أول زيارة قام بها للكيان الصهيوني عام ١٩٧٣م قبل أن يصبح رئيساً، وكيف أن هذه الزيارة قد كشفت له عن واقع جديد لم يكن يعرفه من قبل عن طبيعة الحياة في إسرائيل وتفاصيل معاناة اللاجئين الفلسطينيين في الداخل والخارج.

العالم
ليس
كله
صهيوني
لكن الدعاية
الصهيونية
هي المؤثرة
والمتحركة
والمناورة
بقوة

إن كانت الأكاذيب انطلت على رئيس أكبر وأعظم دولة في التاريخ المعاصر وصاحب الخبرة السياسية، وأكبر مؤسسة في العالم تشرف على الانتخابات الرئاسية في كثير من دول العالم، وراعي أكبر عملية سلام تاريخية بين العرب والصهاينة، والحائز على جائزة نوبل للسلام، اعترف بعد كل ذلك أنه ضحية الكذب اليهودي!!

إنها دلالة واضحة على الجهد^(٢٧) الذي يمارسه اليهود في تغييب الحقائق عن العالم، وفي المقابل نجد أن ضحايا الكذب اليهودي كما ونوعاً، مقابل آلية عربية إسلامية ضحلة في أدائها و ضحلة في رؤيتها، وهذا ما وصفته الباحثة البريطانية «روز ماري»^(٢٨) - في كتابها «من الاقتلاع إلى الثورة»: لقد أدى الافتقار إلى تاريخ عربي صحيح لعملية الاقتلاع التي لم تذكر إلا مجزأة سعيًا بالجمهور العربي إلى البقاء على جهله بما حدث فعلاً .

حسبي أن لا أقف عندها المثل فحسب بل دعوني أضرب الصين أنموذجاً مورش عليه التزوير اليهودي التي تعد أكبر دولة في العالم من حيث الكثافة السكانية والهيمنة الاقتصادية، لكن بعد رصد الإعلام الصيني خلال تلك الفترة ١٩٤٨م - ١٩٥٠م، تشير إلى أن الصين الشعبية اعتبرت العرب هم المعتدون^(٢٩) على الكيان اليهودي خلال الفترة وأن «العدوان العربي على إسرائيل يتم بتحريض من بريطانيا»، أي تزوير هذا؟، لتدرك الصين أن تطوير علاقاتها مع إسرائيل لن يكون له أية نتائج سلبية لعلاقاتها مع الدول العربية، نظراً لتزايد الاعتراف العربي بشكل مباشر ومعلن أو غير مباشر بإسرائيل، واعتبارها فكرة مكاتب المقاطعة العربية ستكون من الماضي . وقد تبين أن هذه النظرة الصينية كانت صحيحة؛ إذ إن علاقات الصين مع الدول العربية تتطور بشكل متسارع من ناحية، كما أنها تتطور مع الكيان اليهودي من ناحية ثانية.

الأكاذيب
انطلت
على رئيس
أكبر وأعظم
دولة في
التاريخ
المعاصر
وصاحب
الخبرة
السياسية

لقد أدركت الصين أن ازدواجية علاقاتها العربية الصهيونية لن تؤثر أبداً في عقودها الاقتصادية أو علاقاتها الدبلوماسية لأنه على ما يبدو لم تبد أي دولة عربية أو إسلامية امتعاضها للصين من علاقتها بالكيان اليهودي لذا كانت الرغبة الصينية جامحة في مزيد من الانتشار العالمي وفي استثمار اللوبي اليهودي في الكونجرس الأمريكي بشكل خاص والنفوذ اليهودي في العالم بشكل عام؛ لتطوير العلاقات بين مؤسساتها التجارية والتكنولوجية ومراكز البحث العلمي مع نظيرتها اليهودية في الكيان اليهودي أو خارجه، ليتيح لها الوصول إلى التكنولوجيا الغربية التي يسهل على المؤسسات التي يسهل على اللوبي الصهيوني الوصول له عبر فروع هذه المؤسسات الغربية في الكيان اليهودي وخارجه، ولا يعني هذا أن الصين تدور في فلك السياسات الأمريكية أو الصهيونية فكثيراً ما نددت بالاحتلال الأمريكي للعراق، وكانت من الدول القليلة التي لم تنسجم سياساتها مع سياسة أميركا تجاه حكومة حماس في فلسطين، فأرسلت دعوة للدكتور «محمود الزهار» وزير خارجية حكومة حماس حينها لزيارة الصين، وكثيراً ما انتقدت الصين سياسة الولايات المتحدة في مشرقنا العربي .

وهذا يدفعنا إلى اغتنام الفرص بجد لكسب أفراد ومؤسسات غربية أعلنت بل وتصدت بكل ما تملك من قوة للدفاع عن شيء من حقوقنا في الميادين الغربية الإعلامية أو القانونية أو الإغاثية أو الصحية بل بعضهم تصدى لليهود بأجسادهم^(٣٠) وغيرها من ميادين شهدت بأدوار هؤلاء.

إن الكيانات الحذقة هي التي تبحث عن الجسم النابض والمساحات الواسعة من الحرية لنشاطها الاقتصادي والسياسي وتترقب الفرص وتتجاوز العقبات بكل مرونة حتى تحقق لكيانها الرفعة والسؤدد، لذا فرضت الصين على العالم طريقة التعامل معها على أن تكون مبنية على أساس ومفهوم الهيمنة لا على أساس الشراكة وتبادل المنافع . وهذا يدفعنا إلى اغتنام الفرص بجد لكسب أفراد ومؤسسات غربية أعلنت بل وتصدت بكل ما تملك من قوة للدفاع عن شيء من حقوقنا في الميادين الغربية الإعلامية أو القانونية أو الإغاثية أو الصحية بل بعضهم تصدى لليهود بأجسادهم^(٣٠) وغيرها من ميادين شهدت بأدوار هؤلاء.

ولعله من أكثر المنظمات صرامة في توجهاتها ضد اليهود مع أنهم يتبنون فكرة «مارتن لوتر» الذي كان سببا في إنعاش^(٣١) اليهودية في التاريخ المعاصر وعلى مستوى العالم وهي منظمة: (The Christian Nationalist Crusade) وتعني (الصلبية المسيحية الوطنية) تأسست عام ١٩٤١م في الولايات المتحدة الأمريكية .
ومن أهم مبادئها الموثقة في نظامها الأساس (الاحتفاظ بأمريكا أمة مسيحية) ، وأخذت على عاتقها مقاومة مشروع يهودي خطير يهدف إلى «تبديل التراث المسيحي بالتراث اليهودي» ؛ ويسعى أتباع هذه المنظمة وبكل السبل إلى إيقاظ الغفلة الأمريكية الشعبية والرسمية من الخطر اليهودي المحدق في بلادهم - أمريكا - .

ومن أهم إنجازات هذه الحركة التي وصلت إلينا طباعة كتاب «نفاق اليهود» ، في لوس أنجلوس سنة ١٩٤٨م ، مؤلفه «مارتن لوتر»^(٣٢) مؤسس البروتستانتية ، كما قامت تلك الحركة بطباعة عشرين مرسوماً بابوياً اتسمت بشدتها ضد اليهود !! .

المطلب الثاني: مبررات الغرب في تبني الدولة الصهيونية .

تمثلت أهداف الغرب من تأسيس الدولة اليهودية إلى هدفين أساسيين ،
لا ثالث لهما :

الأول : التخلص من العبء اليهودي في العالم الغربي بعد أن فزع الغرب من سيل الهجرات اليهودية المتوالية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا ووسطها فضلا عن «جيتو» هنا وهناك ، فظهر ما اصطلح عليه الغرب بـ«الفائض البشري اليهودي» التي كانت سببا في نظرهم في إشاعة كثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأمنية ، التي تهدد أمن الدول المستضيفة .

لقد كان ولا زال كثير من دول أوروبا تحت التأثير والسيطرة اليهودية ،

مبررات

الغرب في

تبني الدولة

الصهيونية

التخلص من

العبء اليهودي

في العالم

الغربي

وذلك ما قاله نصاً «سيريب سبيردوفيتش» في كتابه^(٣٣): «أصبح العالم تحكمه عملياً الأسرة اليهودية السرية للروتشيلديين^(٣٤) الذين أصبحوا يحكمون ألمانيا، والنمسا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة وهم الآن يحكمون روسيا بالقناصل المؤيدين لهم أي اليهود». أدرك الغرب أن اليهود نفايات بشرية سامة تسمم الفكر والأخلاق يجب التخلص منهم وفي وقت مبكر، بعد أن أدرك بعض الغرب وبمكر شديد كيف لهم أن يتخلصوا من الفائض البشري اليهودي بما يخدم مصالحهم فيتحقق لهم الخلاص من اليهود ووبائهم بطريقة يسعد بها اليهود ويظنون أن بها خلاصهم.

لقد قال كلمته «مارتن لوثر» في اليهود وبعد خلاصة تجربة مريرة معهم كلفته الكثير، قال: «لا نعلم السبب في حلول اليهود بيننا وأي شيطان قادهم إلينا، فنحن لم نأت بهم من بيت المقدس... وإذا هم اختاروا الرحيل عنا، مستعدون أن نقدم إليهم

لقد
ضاقت
بهم
روسيا
وبولندا
وغيرهما
فأصبحتا
من أكثر
المناطق
استيعاباً
ليهود

حسن المعونة، حتى نتخلص منهم، فهم عبء ثقيل علينا في وطننا، بل هم أشبه بالوباء والطاعون وما رأينا منهم إلا النكبات»^(٣٥).
لقد ضاقت بهم روسيا وبولندا وغيرهما فأصبحتا من أكثر المناطق استيعاباً لليهود مما حدا بهم إلى الانتشار في هجرات متتالية إلى دول أوروبية أخرى أدركت بعد برهة من الزمن أن الوافد الجديد إليهم ليس مما يطاق من البشر، وقبل فوات الأوان سعى الغرب إلى إعادة تصدير اليهود وما يحملون معهم من وباء وانحطاط في الأخلاق، إلى المشرق الإسلامي وتحديدًا إلى فلسطين تلك الوجهة والقبلة التي توافق عليها كلا الطرفين فبدأ قادة الصهيونية وبكل حماس الترانسفير الطوعي لقطعان اليهود الأغبياء دون أن يدركوا أبعاد هذا القرار الاستراتيجي الجريء والخطير، و ترانسفير غير طوعي

ليهود آخرين جاؤوا مرغمين لا يعيننا كثيرا في هذا المقام طرق وكيفية إرغامهم ، لكن دون أن يدرك اليهود - مع ما فيهم من مكر- أن ما حيك لهم من الغرب وقيادتهم الصهيونية التي كانت كل منطلقاتها مبنية على الحقد والكرهية وغاياتها التي بررت كل وسيلة .

بدأ الحراك الغربي باتجاه فكرة التخلص من هذه الكتل البشرية بأسرع وقت وأقل التكاليف وبرضا الطرفين، ومما ينقل من جهود حول هذه المسألة ، أنه خلال الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية اجتمع الرئيس «روزفلت» مع «الملك عبد العزيز بن آل سعود» - ملك السعودية - آن ذاك ، وقال «روزفلت» للعاهل السعودي : «إن هتلر والنازيين اضطهدوا اليهود ، فاليهود يحتاجون إلى وطن ، ولكن ماذا عن فلسطين»؟! رد الملك عبد العزيز- رحمه الله - قائلاً : « ليس الفلسطينيون هم الذين اضطهدوا اليهود ، النازيون هم الذين فعلوا ذلك ، إن من الخطأ معاقبة الفلسطينيين بسبب ما فعله النازيون ، لا يمكن أن أوافق على سلخ وطن عن شعب لإعطائه لشعب آخر» .

الثاني: وظيفة الشعب والدولة «الصهيويهودية» لخدمة أهداف الغرب الصليبي في المشرق الإسلامي.

ليتحول هذا الفائض البشري الغير منسجم لينصهر في كيان سياسي على هيئة «دولة وظيفية» تحول دون بروز قوة عربية إسلامية تطل على الممرات المائية وتسيطر على خيرات المنطقة التي تشكل تهديداً لأمن ومستقبل الدول الأوروبية ، خاصة بعد الانقراض على الدولة العثمانية لتكون تركة سهلة التوزيع والعبث بها على أيدي ، سايكس بيكو^(٣٦) .

ليس

الفلسطينيون

هم الذين

اضطهدوا

اليهود ،

النازيون

هم الذين

فعلوا ذلك

وتقسيم العالم العربي إلى قسمين، وتطل على الممرات المائية الإستراتيجية فتحول دون ظهور قوة محلية تملأ الفراغ الذي سينجم عن تقسيم الدولة العثمانية التي قد تهدد المصالح الغربية. وهذا هو الحل الصهيوني للمسألة اليهودية.

لقد كشف السر بن غوريون - أول رئيس لحكومة اليهود - عن مغزى تأسيس الحركة الصهيونية: إن الحركة الصهيونية كانت دعائم لإقامة البيت القومي، وأنه بعد إقامة الدولة، يجب فكها .

نعم هو مقلب وورطة وأزمة تاريخية لن تنفك عن اليهود ما بقوا في فلسطين وفخ وقعوا به لن يخرجوا منه بسلام، ففلسطين المحاطة بعمقها التاريخي الإسلامي والعربي بالنسبة لليهود فخ وقعوا به فامتدادهم الديموغرافي مع من حولها من دول تحيط بهم أطلق عليها دول الطوق عرفت بأصالتها العربية وأصوليتها الإسلامية منذ فجر تاريخ البشرية والإسلام، لقد أتى اليهود على أمة كانت في لحظة غفلة من أمرها، ولم يدركوا أن هذه الأمة ليس كل أمرها غفلة .

لن
يستطيعوا
أن يغيروا
تاريخاً
وديناً
متجذراً في
منطقة
من أهم
المناطق
الإسلامية
العربية

لقد استطاع الغرب الأوروبي كعادته الاستفادة من النفايات وتدويرها إلى مواد يمكن إعادة استخدامها ويمكن الاستفادة منها، وهكذا كان الأمر لهم بالنسبة لليهود فلقد نجحوا في تحويلهم من شعب ينبح عليهم إلى شعب ينبح لهم بعدما ألقوهم في فلسطين ونسي اليهود بلحظة غياب منهم أنهم لن يستطيعوا أن يغيروا تاريخاً وديناً متجذراً في منطقة من أهم المناطق الإسلامية العربية، فجعلوا من اليهود دولة وظيفية تسعى دائماً - ونيابة عنهم - في تحقيق أهداف المستعمر الأوروبي .

ويؤيد ذلك ما كتبه وزير بريطانيا السابق المستر «ايموي» في مذكراته

«نحن نرى ، من وجهة النظر البريطانية الخاصة ، أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين يدين بوجوده وفرسته في التطور إلى السياسة البريطانية، هو كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال ولأداء دور محطة الطرق الجوية مع الشرق».^(٣٧)

نعم لقد نجحوا في جعل اليهود ودولتهم جماعة وظيفية أو بمفهوم عالم المقاولات والتجارة مقاول في الباطن يحقق للغرب أهدافه الاستعمارية ويكونوا رأس حربة وفوهة مدفع يقاتلوا ويحققوا الأهداف القريبة والبعيدة نيابة عنهم ، جاء في مجلة «بير سبكتيف» عدد إبريل /مايو ١٩٨٤م لقد أغرقنا إسرائيل بالمال والأسلحة ، جعلنا من دولة الثلاثة ملايين تقريبا ، ماردا عسكريا أكبر من أي من ألمانيا ، إنكلترا ، فرنسا وأقوى من ٢١ دولة عربية مجتمعة».^(٣٨)

باختصار يهود اليوم هم الحمير التي ركبها الصليبيون الجدد لغزو العالم العربي والإسلامي ، عملا بالمثل الصيني القائل: «لا يهمني ما لون القط، المهم أنه يأكل الفئران» .

لتحقيق أهداف وطموحات استراتيجية وتكتيكية لجشع عالم غربي مادي لا تنتهي أطماعه عند حد ، فالدولة الصهيونية بمثابة شرطي يعمل بالإنابة وبتوكيل من الباطن يحمل عصا غليظة يعاقب بها كل من حاد عن الصراط الصليبي المرسوم لدول المنطقة .

وتمثلت الوظيفية المطلوبة من هذه الدولة الصهيونية اللقيطة ، وخلال استقراء وتتبع ممارسات ساسة وسياسات الغرب تجاه مشرقنا العربي الإسلامي ، نختصرها في التالي:

١- تفتيت وتمزيق النسيج واللحمة التي تتمتع بها المنطقة من رابطة عقديّة وتاريخية وفكرية ولغوية وسياسية وعسكرية^(٣٩) فضلا عن عادات وتقاليده ومصير مشترك بين شعوب المنطقة العربية .

نعم
لقد نجحوا
في جعل
اليهود
ودولتهم
جماعة
وظيفية
مقاول في
الباطن
يحقق
لغرب
أهدافه

٢- إبقاء المنطقة في حالة تأزيم دائم ومستمر ، ليسهم ذلك في تعطيل وإجهاض كل أنواع التنمية الحضارية بأنواعها ، لتبقى متخلفة عن ركب الحضارة ، و عاجزة عن استغلال مواردها الكثيرة والمتنوعة ، ولتبقى مواردنا مواد أولية منهوبة أو مباعة بأبخس الأثمان ، لتصبح أمتنا استهلاكية من الدرجة الأولى وعميل نهم ودائم للصناعات الغربية .

المبحث الثالث: اليهود وفن صناعة وتأسيس الفرق والجماعات التي تخترق بها الأمم لتحقيق أهدافها.

قامت الفكرة الصهيونية بجملتها على نبذ الزمان والمكان وما هم عليه من حال ورفضت كل شيء من حولها وفي حقيقتها ردة وكفر بالواقع والفكر اليهودي ونقطة نوعية متطرفة في تاريخ اليهودية ضد العالم بأسره ، لقد تمكنت الحركة الصهيونية من تغيير قناعات كثير من اليهود إلى الفكرة الصهيونية ، ومن ذلك أنه في عام ١٨٨٩م أسس «إسحق ماير

وايز» منظمة يهودية تتبع اليهودية الإصلاحية وتضم الحاخامات

الإصلاحيين في الولايات المتحدة وكندا ، وتجتمع في مؤتمرات دورية وهي من الجماعات اليهودية المعادية للحركة الصهيونية ، التي تتسم باختفاء النزعة القومية فيها بل والبعد عن استخدام اللغة العبرية كأصل في الديانة اليهودية .

وفي الثلاثينيات بدأ المؤتمر يغير اتجاهه ، ويتخذ موقفا أكثر تفهما وتعاطفا مع الحركة الصهيونية ، حتى أعلن برنامج كولومبوس عام ١٩٤٨م، الذي أكد أن من واجب كل يهودي أن يساهم في تعمير فلسطين ،

لا كملجأ للمحتاجين وحسب بل كمركز لليهودية في العالم^(٤٠) .

هي أشبه بولاية الفقيه والحركة البروتستانتية المنتفضة على مسيحية ذلك الزمان ، لم يتوقف الأمر عند هذه الملل فقط بل تمادى أمرها عليه من حال

حتى تمكن يهود الدونمة «الحركة الساباتائية» في الدولة العثمانية من اختراق الطرق الصوفية في تركيا وجعلت من هذه الطرق مأوى وملجأ سهلاً لا يشترط كثير من التعقيدات لمنتسبيه سوى ممارسة هرطقات وطقوس، والظهور بشكل الدرويش الزاهد في الدنيا، ونقلت صاحبة كتاب «العلاقات اليهودية التركية» أمثلة كثيرة على هذا الاختراق، وكانت الحركة الصهيونية مفترق طرق في العقيدة اليهودية لتخرج من أزمة الذل التي عاشتها الجماعات اليهودية ردحا من الزمن منذ الأسر البابلي الأول.

«كان الساباتائيون يدخلون الجماعات الدينية الأكثر تساهلاً في قواعدها الدينية، والأكثر تقرباً إلى السلطة، والسبب الرئيس لدخولهم في هذه الجماعات لم يكن للمحافظة على هويتهم السرية فحسب، ولكنهم كانوا يهدفون إلى تشكيل سمات ونماذج صوفية للطرق في الأديان المختلفة، وأول عمل قام به الساباتائيون في إستانبول بعد دخولهم الإسلام كان تحقيق المساعدة المادية في تأسيس تكية «عزيز محمود خدائي» الذي كان من شيوخ الطريقة الخلوتية ومدفون في «أسكيدار»، والسبب في هذا هو مكوث الساباتائيين لفترة طويلة في تلك التكية حتى عام ١٩٢٤م»^(٤١).

لذلك قال الحبر اليهودي «أبراهام ناثن» مساندا ما قام ساباتاي المدعى أنه المسيح المخلص لليهود بعد إشهارة للإسلام نفاقاً: إنه ينبغي دخول المسيح بين الأمم غير اليهودية، وإشعال الشارات المقدسة الكائنة فيها، وتنبية الأشخاص المقدسين والأولياء رغم جهلهم هذا، على أن حركة المسيح هذه أيضاً لأجل غاية إلهية.^(٤٢) لقد شاء قدر الله وإرادته أن تسخر طوائف وجماعات تعمل ومن غير مقابل لصالح المشروع الصهيوني وهذا مصداق قوله تعالى:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا

شاء قدر
الله وإرادته
أن تسخر
طوائف
وجماعات
تعمل ومن
غير
مقابل
لصالح
المشروع
الصهيوني

بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكِ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٤٣﴾

أخبر ربنا جل في علاه عن سر خاص غرسه الله في مكامن اليهود، أنه جل جلاله ضرب عليهم المسكنة الجبلية الغير منفكة عنهم وهي صفة فيهم دون سواهم لا يسعفهم منها إلا حبل من الله كما هو شأن العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين نبينا محمد ﷺ في المدينة، أو حبل من الناس ممن يدعمهم كحلفائهم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا وغيرهم، أو كالمناقضين من الجواسيس والعملاء والمرتزقة الذين يبحثون عن عز لهم في ظل دولة يهود، نعم هؤلاء هم من وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ﴾.

تمكن اليهود من استغلال و توظيف وركوب هذه الموجة لتحقيق مآربهم وعرفوا كلمة

السرا التي يمكن لهم بها أن يفتحوا كل باب موصد أمامهم فتمكنوا من توظيف أحداث عالمية توظيفا كاملا لصالحهم من خلال استغلالهم لنصوص من العهدين القديم والجديد واستدراجهم بهذه النصوص عشرات الملايين من النصارى لخدمة أهدافهم .

لقد تمكن اليهود من التسلل إلى صفوف الرهبان فأصبح منهم البطارقة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية. (٤٤) ولا ينطبق ذلك فقط على النصارى بل هو مندرج على جل الفرق والاحزاب والديانات، يقول المسيري، «ومن الحقائق الإحصائية التي قد تكون لها علاقة بموضوع العبادات الجديدة أن نسبة أعضاء الجماعات اليهودية في الجمعيات السرية في العالم هو نحو ٣٠٪» (٤٥). وسنحاول التطرق إلى أنموذج من أهم الفرق والجماعات التي

تمكن
اليهود
من معرفة
كلمة
السرا
التي
يمكن لهم
بها أن
يفتحوا
كل باب
موصد

استطاعت الصهيونية اختراقها أو كانت من صناعتها ، ومنها :

المطلب الأول : البروتستانتية في أوروبا نموذجا :

يرى بعض باحثي النصارى وغيرهم أن اليهود لهم دور مباشر في صناعة البروتستانتية وكان لأصدقاء «مارتن لوتر» من اليهود دور في توجيهه نحو التمرد على الكنيسة وكان لـ «جون كالفن» دور أساس في التشكيل النهائي « للبروتستانتية » وذكر أنه أحد اليهود الذي أمروا باختراق البروتستانتية ، كما أن ١٥٪ من القساوسة البروتستانت الذين يقومون بالوعظ في الكنائس الأمريكية أيام الأحد والأعياد النصرانية ، هم من اليهود المنتصرين .^(٤٦) لذلك وبكل دهاء استطاع اليهود من تحويل المذهب البروتستانتى إلى جماعة وظيفية^(٤٧) من الدرجة الأولى تخدم الصهيونية بكل تفران وإخلاص ، وروجوا المعتقدات والأفكار البروتستانتية ومنها على سبيل المثال مايسمونه معركة «هرمجدون» حتى أصبحت ثقافة مشاعة بين عامة الشعب الأمريكى وبعض شعوب الدول الأوروبية. بيد أنه لم يكن لهذه المعركة حظ من التأثير في المؤمنين بها من النصارى قبل قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨م ، وأما بعد قيامها فقد تيقنوا صدق النبوءات ، وأن بقيتها في طريقها إلى التحقق على أرض الواقع ، وصاروا يتوقعون «هرمجدون» ، في أي لحظة ! وزاد الطين بلة انتصار اليهود على العرب وسيطرتهم على القدس عام ١٩٦٧م ، حيث اعتبروا أن ذلك مؤشر ثان على صدق نبوءاتهم ، وكان ذلك سببا في تضاعف أعداد المؤمنين بالمعركة .^(٤٨) وأما المؤشر الثالث هو العمل على تدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه! . وكل ذلك للأسف الشديد هو بسبب التفاني الذي أبداه أتباع الكنيسة

اليهود
لهم دور
مباشر في
صناعة
البروتستانتية
وكان
لـ «جون
كالفن»
دور أساس
في التشكيل
النهائي
للبروتستانتية

البروتستانتية من أجل تحقيق نبوءات بعودة المسيح المخلص على حد زعم الطرفين اليهودي والنصراني ، لكن كل حسب فلسفته الخاصة !

المطلب الثاني: يهود الدونمة « الساباتائية » في تركيا أنموذجا:

وكردة فعل على الحالة اليهودية التي أصابتها نقمة الدول الأوروبية ، تولد عند جماهير الجماعات اليهودية «فكرة الخلاص» فساد فيهم هذا الشعور فبدأوا يترقبون ما يمكن أن يغير حالهم لتكون لهم الهيبة ، في هذه الأجواء أعلن «ساباتاي» نفسه المسيح المنتظر فأكسبته شهرة واسعة في أوروبا وأفريقيا حتى كانت الوفود اليهودية زرافات إليه من دول العالم في تركيا .

تحول ساباتاي من مسيح يهودي مزييف إلى مسلم منافق عام ١٦٦٦م، باسم « محمد أفندي » ودخل عدد كبير من أتباعه الإسلام لكسب ثقة الأتراك ، وبدلوا أسماءهم بأسماء إسلامية واندمجوا بالشعب التركي ولبسوا الجيب والعمائم ، فكانوا ظاهرا مسلمين وباطنا يهودا ، وانتشر أتباعه من القاهرة إلى هامبورج ، ومن سلانيك إلى اليمن ، ومن بولندا إلى بلاد الفرس . وقد لاقت فكرته معارضة شديدة من رجال الدين الأرثوذكس وأن دعوته واحدة من الأفكار اليهودية الداعية إلى الصهيونية .

المطلب الثالث: الماسونية^(٤٩) العالمية ، أنموذجا:

الماسونية والصهيونية وجهان^(٥٠) لعملة واحدة فقد صرح الحاخام الأكبر «إسحق وينز» : أن الماسونية هي مؤسسة يهودية خالصة ، وأن تقاليدها وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادرنا ، فهي منا ولنا من البداية حتى النهاية .^(٥١) فكلاهما يستقي مذهبه مما جاء في التوراة والتلمود من عقائد ومبادئ وشعارات مبعثها يهودية إثنية

وترى الماسونية أن اليهود هم شعب الله المختار، كما يطلقون على أنفسهم «البنائون الأحرار» لسعيهم الحثيث بناء هيكل سليمان- الذي يوافقون اعتقاد اليهود فيه أنه ملك وليس نبي- على أنقاض المسجد الأقصى، بعد إقامة الدولة اليهودية في الأرض المقدسة (فلسطين).

ومن أهم الرسائل التي تظهر عمق العلاقة الصهيوماسونية، الخطاب الموجه من الماسوني (غرايدي تيري) و (اودي مورفي)، العضوان في المحفل الماسوني «قدماء الماسونية الأحرار» إلى عناية الأستاذ «روحي الخطيب» أمين القدس^(٥٢)، وقد عرضوا عليه شراء الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى^(٥٣). ومما جاء فيه: «...أنتم تدركون أن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصلي، والملك سليمان كان رئيس هذا المحفل، لكن الهيكل دمر عام ٧٠ بعد المسيح. إنني أعرف أن مسجدكم هو صاحب الهيكل ومالكه القانوني وأنه أقيم في المكان ذاته إلى جانب الصخرة ...

وإنني كمسيحي وكعضو في الحركة الماسونية، أراس جماعة في أمريكا يحبون أن يعيدوا بناء هيكل سليمان من جديد. هذا هو اقتراحنا، إذا أعطى جامع عمر الإذن لمؤسستي فسوف نجمع ٢٠٠ مليون دولار في أمريكا لهذه الغاية أو المبلغ اللازم لإعادة بناء الهيكل... وأستطيع أن أؤكد لكم أن مؤسستكم إذا تعاونت معنا في إعادة بناء الهيكل فسوف تصبح أغنى مؤسسة دينية على الأرض... سادتي، أمل أن تأخذوا هذه القضية بعين الاعتبار وتبحثوها مع أعضاء مجلس إدارتكم قبل أن أصل إلى المدينة المقدسة^(٥٤)...»^(٥٥).

ليس
من
باب
الصدفة
أن نجد
تطابقاً
تاماً
بين
اليهودية
والبهائية

المطلب الرابع : البهائية^(٥٦) أنموذجاً :

ليس من باب الصدفة أن نجد تطابقاً تاماً بين اليهودية والبهائية ليس من باب الصدفة هذا التوافق التام بين البهائية و الماسونية لتحطيم كل القيم والعادات والتقاليد والدعوة إلى الرذيلة والانحلال والمطالبة بالمساواة بين المرأة والرجل ، والاعتراض على نظام الأسرة وتعدد الزوجات ، وقوامة الرجل على المرأة ، ومن خلال النظر في قرارات البهائية نجد أنها تتوافق مع ما تدعو إليه الماسونية ، بل هناك توافق كبير بين ما كتبه البهائيون وما هو موجود في التلمود والتوراة.

ليس من الغريب أن تكون آراء مؤسس البهائية « بهاء الله » ترفض جهاد اليهود بل تنادي بتجميع اليهود في فلسطين ليدلوا على ذلك أنه مما جاء في العهد القديم ، ويدعون إلى تقبل اليهود في فلسطين كأمر واقع وينادون بالسلام معهم ، بل تعدى ذلك الأمر لعلاقات مباشرة مع الصهيونية كحضور ابن بهاء الله « عباس » الملقب بـ « عبد البهاء » أحد المؤتمرات الصهيونية عام ١٩١١ م .

يدعون
إلى تقبل
اليهود
في فلسطين
كأمر
واقع
وينادون
بالسلام
معهم

كما نصّب اليهودي الصهيوني «ميسون» أمريكي الجنسية ، رئيساً روحياً للطائفة البهائية في العالم كله عام ١٩٦٣م . وكتب زعيم الحركة البهائية شوقي أفندي في ٣٠ يونيو ١٩٤٨ م مهنتا الكيان الصهيوني على تأسيس الدولة ، إلى «بن جوريون» يعبر له عن أطيح تمنياته من أجل رفاهية الدولة الجديدة ، برعاية الكيان اليهودي ، كما عقد البهائيون المؤتمر البهائي العالمي في سنة ١٩٦٨ م ، وجاء في حفل الختام ، « أن الحركتين اليهودية والبهائية متممتان لبعضهما البعض وتجتمعان في أكثر النقاط»!!

• الهوامش :

- ١- ومن أخطر القضايا التي كانت سببا في الانقلاب العقدي في أسس عقيدة النصارى، هو قيام الكنيسة بتبرئة اليهود من دم المسيح كما يزعمون !!
- ٢- حسب القانون الإسرائيلي اليهودي هو : من كانت والدته أو جدته أو جدته لأمه أو جدته لجدته يهودية في ديانتها، أو إذا اعتنق الشخص الديانة اليهودية بطريقة ترضي السلطات الإسرائيلية بشرط أن يكون قد تحول في وقت عن اليهودية واعتنق ديانة أخرى . أما الاناث : فيجب معايتهن من ثلاثة حاخامات وهن عاريات (حمام التطهير) ويقول «إسرائيل شاحك»: إن وسائل الإعلام باللغة الإنجليزية يجمعون عن نقلها لأنه موضوع مثير للاهتمام . اسرائيل شاحك، تاريخ اليهود، ص ٢٢.
- ٣- وهو مصداق قول ﷺ: (افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعين في النار وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعين في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتين وسبعين في النار قيل يا رسول الله من هم قال : هم الجماعة). السلسلة الصحيحة للالباني: ١٤٩٢
- ٤- أهل الذمّة هم : الْمُعَاهِدُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ مَنْ يَقِيمُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ . وَيَقْرُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِشَرِّطِ بَدَلِ الْجُزْيَةِ وَالتَّرَامِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ . الموسوعة الفقهية، ج٧، ص ١٤٠.
- ٥- أهل الحرب أو الحربيون : هُمُ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي عَقْدِ الذَّمِّ ، وَلَا يَتَمَتَّعُونَ بِأَمَانِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا عَهْدِهِمْ . الموسوعة الفقهية ، ج٧، ص ١٠٤ .
- ٦- حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص: ١٨٠
- ٧- هي المزاوجة بين الانتماء الديني اليهودي والقومية الاسرائيلية التي يدعوا إليها الصهاينة ، وهو ما سعى إليه الساسة الصهاينة في تأسيس كيانهم في فلسطين، غير أنه ظهرت في السبعينيات حركات بين اليهود قبلت بالصهيونية علناً، لكن دون تحمل تبعاتها ، مع ضرورة التأكيد على الاحتفاظ بالانتماء الديني مستقلاً عن الانتماء الإثني القومي أو السياسي ، خشية القضاء على اليهودية . وجاء تعريفها في موسوعة اليهود واليهودية ، ج١ ، ص ٢٢٨ : « أن يهوديته لا تتبع من إيمانه بالقيم الدينية إنما من الإثنية اليهودية، أي من موروثه الثقافي » .
- ٨- يكفي اليهودي انتسابه لليهودية إذا ولد لأم يهودية ومهما كان يحمل من أفكار أو اعتقادات أو حتى لا يطبق من دين اليهودية شيء .

الصراع مع اليهود وأثره في العلاقة مع الغرب

العدد الخامس عشر - ربيع الأول ١٤٣٤هـ - يناير ٢٠١٣م

١١

٩- لكن هناك آراء من الداخلة الصهيوني تشكك في صدق نوايا هذه الطائفة من اليهود ، وترى أنهم صهيانية من الدرجة الأولى ، يقول إيلان شاحر : إن استطلاع جرى عام ١٩٩٧م تبين أنه لا يوجد حريدي واحد يؤيد تنازلا عن مناطق الحريديون المجتمع والسياسة، ص ٢٠

١٠- والدليل على ذلك أن ثلث يهود العالم تقريبا فقط استجاب لمشروع الهجرة إلى فلسطين، كما أن ممارسات الوعد والوعد التي مارستها الوكالة اليهودية لتشجيع الثلاثين لم تستجب عمليا للهجرة وتوزع باقي اليهود في ثلث باقي في أمريكا والثلث الأخير متفرق بين كثير من دول العالم .

١١- الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحك، ص : ٥٩

١٢- موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري.

١٣- صحيفة الخليج، الشارقة، ٢٥/٧/٢٠١٠

١٤- كما مارست الوكالة اليهودية التهجير القسري لكثير من يهود العالم، ومن ذلك ما قامت به من تفجير بعض الكنيس اليهودية في العراق على سبيل إدخال الرعب في قلوب اليهود من المسلمين، وأن المسلمين بدأوا في ملاحقة اليهود، وغير ذلك من اختطاف بعض الشبان اليهود في بعض دول أوروبا وتهريبهم عبر السفن إلى فلسطين .

١٥- أسس هذه الجماعة إسرائيل بن أليعازر « الذي عرف فيما بعد باسم « بعل شوم طوب » المولود في ١٧٠٠م المتوفي في ١٧٦٠م، عاش في فترة يكثر فيها الخرافات بين اليهود والسحر والتكسب المادي بين الحاخامات باسم الدين ، عُرف بين اليهود بصلاحه وحكمته وارتضائه حكما بينهم في منازعاتهم، عمل قصابا شرعيا، ومنشدا في كنيس ومعلما ثم تنقل بين البلدان ليعالج الناس ويطببهم، طلب الانضمام إلى جماعة يهودية صغيرة تدعى «الإخوان الحسيديم» وكانوا يشترطون للانضمام لهم العلم الواسع بالتلمود والقبلاه معا وأمور أخرى ، لكن طلبه رفض .

استنكر الكثير من عادات اليهود وحاخاماتهم من ذلك طريقة تدريس التلمود وما فيها من جمود، وأكد على أهمية السعادة والتفاؤل وشجع على الأغاني والموسيقى والرقص في العبادة وأنها طريقة لطراد الأفكار الشريفة، وقد طلب ممن حوله وهو على فراش الموت أن يغنوا له .

لم ترو قصص التاريخ اليهودي عن رجل بعد موسى عليه السلام كما روى عن «بعل شم طوب»، حتى قالوا فيه لو أنه عاش بين الأنبياء لكان واحدا منهم، مع أنه لم يترك مؤلفا ورفض أن تكتب تعاليمه .

انتشرت دعوته بين الناس بعد موته وزاد أتباعه في عدة أقاليم أوروبية ومن يومها أطلق على أتباعه اسم «الحسيديم» .

انظر مشكورا كتاب : اليهود الحسيديم ، د. جعفر هادي حسن، بتصرف واختصار ص ١٥ إلى ٢٦ .

- ١٦- انظر حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص: ١٦٥
- ١٧- وهي فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر كردة فعل على التيارات التنويرية الإصلاحية بين اليهود، عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية، ج ٢، ص ١٥٤.
- ١٨- وانظر حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص: ١٦٧
- ١٩- رائد مسيرة الإصلاح الديني ولد في «إيسلين» بألمانيا سنة ١٤٨٢م، لأبوين فقيرين وكان يتمتع بنزعة دينية قوية مجتهدا في العبادة. حقيقة العلاقة بين اليهودية والنصرانية، ص: ١٦٢.
- ٢٠- تعددت الآراء حول أصل كلمة جيتو، ومن المحتمل أن يكون مصطلح استخدم أولا لوصف حي من أحياء البندقية بالقرب من مسبك لصهر المعادن وكان محاط بأسوار وبوابات واتضح أنه الجزء الوحيد من المدينة المسموح فيه باستيطان اليهود. انظر: الجيتو اليهودي، سناء عبد اللطيف، ص: ٢٠
- ٢١- غير أن هناك قلة من البروتستانت العرب يدعون أنهم لا يميلون إلى هذه التوجهات ويكتفون بالعيش في ظل حكوماتهم العربية.
- ٢٢- ومما صرح به اليهود لكارتير في زيارته للكيان اليهودي: فرنسا هي أسوأ عدو لنا في السوق المشتركة فهي تمسك بالأخلاق إلى درجة خاطئة. من كتاب «فلسطين: السلام وليس الفصل العنصري». لجيمي كارتير الرئيس الأمريكي الأسبق.
- ٢٣- صحيفة الشرق الأوسط، الجمعة ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ؛ الموافق يونيو ٢٠٠٧، العدد ١٠٤١٢.
- ٢٤- القلم: ٩.
- ٢٥- من خلال توجيه سياسات هذه الدول بعد امتصاص واستغلال ثرواتها خاصة إذا كانت بها جاليات يهودية، ومن هذه النماذج قرغيزستان وتسمى سويسرا آسيا الوسطى، لما أنعم الله عليها من طبيعة خلابة وموارد اقتصادية متنوعة ووفرة، فهي لم تغب عن أنظار اللوبي والجماعات الصهيونية بأطيافها، فقد سعت جميعها لتوفير المظلات الاقتصادية والسياسية للتجمعات اليهودية والموجودة في آسيا الوسطى والقوقاز وبطرق ممنهجة لتعزيز ودعم الوجود اليهودي هناك مع قلته، والدفع به لتتيح لهم فرصة السيطرة على ثروات المنطقة، بعد أن يارسوا نشاطاتهم واندماجهم في هذه المجتمعات بطريقة قومية إثنية.
- ٢٦- في كتاب له بعنوان «فلسطين سلام، لا فصلا عنصريا»، صدر عن دار نشر «سيمون إند شوستر» في ٢٦٤ صفحة ويضم ١٦ فصلا، ومنذ نشر الكتاب لم تتوقف حملات اللوبي اليهودي ووسائل الإعلام الأمريكية ورموز المحافظين والإذاعات اليمينية عليه وعلى كتابه، متهمه إياه بمعاداة السامية والتي لم تعند على هذا النوع من الكتابات في نقد التوجهات الصهيونية في تعاطيها مع القضية الفلسطينية.

٢٧- ومن أمثلة السيل الجارف من الأكاذيب والتزوير الإعلامي الذي لا تتوقف عن ضخه مصانع السينما الصهيونية وربيباتها لتبرر وتروج الممارسات الوحشية التي قامت بها الآلة العسكرية اليهودية في فلسطين، ما قامت به كل من فرنسا واليونان وبريطانيا وإيطاليا والكيان الصهيوني، من إنتاج فيلم بعنوان «يا قدس» بتكلفة تعدت ٢٥ مليون دولار وجرى تصويره في جزيرة «رودس» اليونانية، حيث أقيمت مجسمات كاملة لمدينة القدس. ونص - سيناريو - الفيلم هو في حقيقته كتاب صدر عام ١٩٧٢ م، لمؤلفين اشتهدا بثنائياتهما وهما «دومينيكا لابير» و«لاري كولنز»، زادت مبيعاته على ثلاثين مليون نسخة ولقب بأفضل الكتب مبيعاً.

وجاء المخرج الفرنسي «إيلي شوراك» المعروف بتحيزه للصهيونية، وكَيْفَ مادة الكتاب لتكون فيلماً سينمائياً يدور موضوعه حول تأسيس الدولة العبرية عام ١٩٤٨ م، ليعيد صياغة أكاذيب أشاعها اليهود والتي تزامنت مع قيام كيانتهم في فلسطين، بقلب فني مصور، وبرر ذلك بقوله: إن السينما يجب أن تكون في خدمة التاريخ!! ليرسخ في ذهن المشاهد لهذا الفيلم أن اليهود كما كانوا ضحية في السابق أيام النازية، مازالت معاناتهم وصراعهم للعيش بأمن وسلام!!! وبخبت صَوَّرَ ما حدث في دير ياسين من مجزرة ارتكبتها الصهيونية، أنها لم تكن مجزرة أصلاً ولم تكن حقيقة!! بل أسطورة وهمية اخترعها العرب!! وأوحى أنها أخطاء فردية قام بها بعض أفراد العصابات اليهودية و أنها ليست بأمر قادتهم!!

ولقد تعامى هذا المتصهين عن ما جاء في كتاب الثورة «لمناحم بيغن» الذي يقول فيه: «إن مذبحه دير ياسين أسهمت مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من ٦٥٠ ألف عربي، وأضاف لولا دير ياسين لما قامت إسرائيل!!!».

٢٨- وهذه الباحثة البريطانية أنموذج للغربي الذي وقف وبكل حزم وتحمل تبعات موقفه لنصرة القضية الفلسطينية.

٢٩- قامت مؤسسة يهودية خيرية تدعى «مائير بانيم» التي تعمل في مجال إعانة الفقراء في الكيان المحتل، باستخدام صورة لطفلة تبكي في إعلان إلكتروني نشرته على عدة مواقع، من بينها موقع المؤسسة ذاته، وموقع صحيفة «هآرتس» العبرية، تحت عنوان «أطعموا أطفال إسرائيل البؤساء الجائعين».

إلا أن مواقع لمدونين فلسطينيين أوضحوا أن الصورة لطفلة فلسطينية تبكي إثر فقدانها لعائلتها في غارة صهيونية على قطاع غزة في مطلع يناير ٢٠٠٩م، والتقطها لها المصور الفلسطيني «فادي عدوان»؛ حيث كان «عدوان» يشارك في جنازة خمسة من أقارب الفتاة استشهدوا في الغارة. الذي أوضح بأنه التقط الصورة في الرابع من يناير في العام ٢٠٠٩م، في بيت لاهيا شمال قطاع غزة، وأخذت هذه الصورة أثناء توديع الطفلة

لأقربائها الذين استشهدوا - نحسبهم كذلك والله حسيبهم - والدها وأخوها وعمها واثنان من أبنائه. وبعد أن تنبّهت مؤسسة «مائير بانيم» - الناشطة في عدد من الدول الأوروبية إضافة للولايات المتحدة والكيان اليهودي وتهدف لمزيد العون للفقراء اليهود عبر المساعدة في توفير الوجبات اليومية والسكن والعمل - قامت بتغيير الصورة.

٣٠- وأكبر دليل على وحشية الصهاينة ما تعرضت له ناشطة السلام الأمريكية «ريتشيل كوري» في رفح سحقا وهي تهاوى تحت بلدوزر صهيوني يبلغ وزنه ٦٠ طنا، في يوم شديد البرودة من شتاء عام ٢٠٠٣م، من أشد سنوات الانتفاضة قسوة، بينما كانت تحاول برفقة سبعة من المتضامنين الأجانب حماية البيوت الفلسطينية في حي السلام بمدينة رفح، جنوب قطاع غزة من اعتداء جرافات الكيان الصهيوني، في مشهد مروّع ألم ملايين البشر !!

٣١- وكتابه «نفاق اليهود» كان من آخر أعماله، بعد اكتشافه المتأخر أن دعوته «البروتستانتية» أعطت لليهود مساحة واسعة في معتقدات البروتستانتية، ورأى في نهاية المطاف أنهم لا يستحقون التعاطف الذي أبداه لهم بل يستحقون الطرد السريع من بلده ألمانيا !.

٣٢- زعيم الثورة البروتستانتية في ألمانيا في القرن السادس عشر، ولد سنة ١٤٨٣م وعاش ٦٣ سنة، حصل على الدكتوراه في الدراسات اللاهوتية الأكاديمية من جامعة «فيتنبرغ»، عُيّن أستاذا لدراسات الكتاب المقدس، عام ١٥١٢م.

٣٣- حكومة العالم الخفية، ص: ٥٩.

٣٤- إن مؤسس وعميد هذه الأسرة الحاخام «أمشيل روتشيليد» الألماني الأصل، المولود عام ١٧٤٣م الذي بدأ حياته التجارية بائعا للأدوات المستعملة، في فرانكفورت، وبدءا ومكر كَوْن ثروة قامت في أساسها على الإقراض بالربا، ولما حضرته الوفاة جمع أبناءه وقال لهم: «تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكا لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشرات يجب أن لا يملكوا شيئا» لقد هلك عام ١٨١٢م، بعد أن قسم العالم بين أبنائه الخمسة: أنسيلم وسالمون وناثان وكارل وجيمز على التوالي: ألمانيا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وأعطى أحد أحفاده شونبرغ الولايات المتحدة. حكومة العالم الخفية، ص: ٤٣-٤٤.

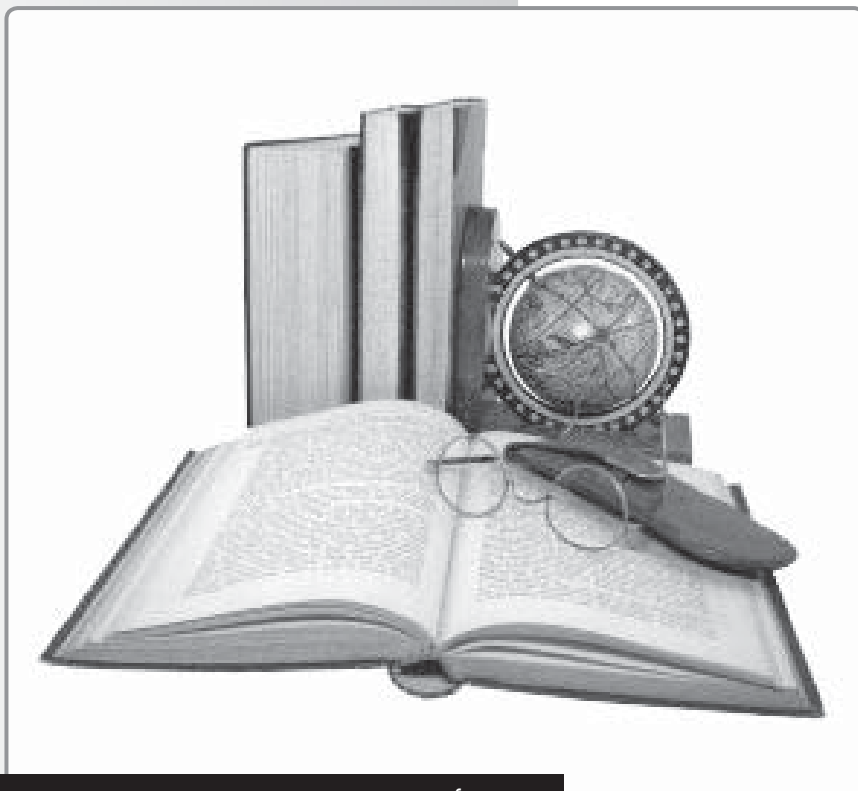
٣٥- نفاق اليهود، ص ١٢١.

٣٦- سايكس بيكو: اتفاقية مبرمة عام ١٩١٦ أو بشكل سري بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا، لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا

- بعد تهاوي الامبراطورية العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.
- تم الوصول إلى هذه الاتفاقية بين نوفمبر من عام ١٩١٥ ومايو من عام ١٩١٦ بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك.
- ٣٧- فرنسا والمأساة الفلسطينية، ص: ٩.
- ٣٨- حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، ص: ٢٨٨
- ٣٩- ويمتلك الكيان اليهودي ثالث أكبر سلاح جويّ في العالم، ويمتلك أسطول من الدبابات الحربية يفوق عددا ما تملكه فرنسا وألمانيا مجتمعين معا !! انظر مشكورا: النبوءة والسياسة، ص: ٩٤
- ٤٠- العلاقات التركية اليهودية ج ١، ص ٦٥.
- ٤١- العلاقات التركية اليهودية ج ١، ص ٨٢.
- ٤٢- العلاقات التركية اليهودية ج ١، ص ٨٢.
- ٤٣- آل عمران: ١١٢.
- ٤٤- العلاقة التركية اليهودية، ج ١، ص ٢٨.
- ٤٥- د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية .
- ٤٦- ملاحم آخر الزمان، ص ٣٨٨
- ٤٧- ومن ذلك ما قام به رجل الدين البروتستانتي الشهير القس الإنجليزي «جون نلسون داري» بإعادة النظر في العقائد النصرانية المتعلقة باليهود، ومنحهم مكانة متميزة حتى أصبحت الكنيسة البروتستانتية هي حاملة لواء الصهيونية المسيحية أينما حلّت.
- ٤٨- ملاحم آخر الزمان ص ٤٢٥ و ص ٤٢٦ بتصرف واختصار.
- ٤٩- الماسونية: هي جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة، هي إعادة الهيكل، الذي هو رمز دولة إسرائيل، والماسونية تضم الملوك والحكام والقضاة والزعماء والقادة والمثقفين. لمزيد من التوسع انظر مشكورا: العلاقات التركية اليهودية، ج ١، ص ٢٥٧.
- ٥٠- جاء في «دائرة معارف ماسونية» ج ١، بيروت، مكتبة الفكر العربي، ط ١، سنة ١٩٦١م، ص ٢٠. تأليف حنا أبو راشد: «أما أن الماسونية يهودية فذلك مما لا شك فيه».
- ٥١- العلاقات التركية اليهودية ج ١، ص ١٠٦

- ٥٢- كان أميناً للقدس في فترة امتدت لخمس وثلاثين عاماً منذ ١٩٥٩م إلى أن توفاه الله سنة ١٩٩٤م .
- ٥٣- ذكر ذلك أمين القدس السيد روجي الخطيب في كلمته أمام المؤتمر الأول لمنظمة المدن العربية الذي عقد في بيروت، بعضاً من المطامع الصهيونية في القدس وادّعاءاتهم حولها، وفي هذا الصدد قال إن السلطات الإسلامية في القدس تلقت عرضاً من الحركة الماسونية الصهيونية لشراء قطعة أرض من المسجد الأقصى بتاريخ ٣٠/٥/١٩٦٨م لقاء «مبلغ مُغرٍ» بغية إعادة بناء هيكل سليمان عليها، وقال إن جواب السلطات الإسلامية كان رفضاً قاطعاً.
- ٥٤- لقد أطلقوا على أول محفل ماسوني في العالم محفل «أورشليم»، وهو نفس المسمى الذي يطلقه اليهود والصهاينة على القدس .
- ٥٥- المصدر: مجلة حضارة الإسلام ١٩٦٩م . ونشرة اللجنة الملكية لشؤون القدس رقم ٦٧ بتاريخ ١/١٠/١٩٧٩م
- ٥٦- البهائية : وتسمى كذلك البابية: انبثقت من الشيعة الإمامية الإثني عشرية سنة ١٨٤٤م . تحت رعاية الاستعمار الروسي، والبريطاني، واليهودية العالمية والحركة الماسونية بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصر فهم عن قضاياهم الأساسية وفي إيران منشأها ، وسميت بالبابية نسبة لزعيمها الأول ومنشئها الذي لقب نفسه بـ (الباب) ، وسميت بالبهائية نسبة لزعيمها الثاني الذي لقب نفسه بـ (بهاء الله) ، وقد ادعى كل من الباب والبهاء النبوة والرسالة وأن الله قد حل فيه ، وزعم « بهاء الله » أنه هو الرب والمشرع .

سلسلة بيت المقدس للدراسات



من أعلام فلسطين

• د. نايف فارس

من أعلام فلسطين المحدث الطبراني



هنا نحن

تكمل السلسلة الذهبية لعالم من علماء فلسطين، ففي هذه الحلقة نكشف اللثام عن شخصية جديدة وعالم جديد، وكعادتنا نركز في هذه السلسلة على الجوانب الخاصة والعامّة من حياة هؤلاء العلماء؛ من صفات، وأخلاق، وآداب، وعلم، ودين، وعبادة، فهي نبراسا يُقتدى به، وهم سلفنا الذين كانوا سببا سخرهم الله لحفظ دينه وحديث رسوله ﷺ.

وإذ إن سير هؤلاء العلماء أصبحت غائبة عن كثير من الناس، فبدأنا سلسلتنا هذه لتكون شعلة تضيء الطريق.

لقد كانت حياة هؤلاء العلماء وأعمالهم ترجمة حقيقية لكتاب الله وسنته، فكانت أعمالهم كلها لله.

فها نحن مع واحد من هؤلاء العلماء فاسمه ملاً كتب أهل العلم، فلا تجد كتاباً يخلو من اسمه.

التعريف به:

هو: الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، بقية السلف، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني.

نسبه:

اللخميّ: بفتح اللام المشددة، وسكون الخاء المعجمة، نسبة إلى لحم: قبيلة من العرب قدموا من اليمن إلى الشام ونزلوا فيها.

والطبرانيّ: بفتح الطاء المهملة، والباء المنقوطة بواحدة، والراء وفي آخرها النون، نسبة إلى طبرية وهي مدينة تقع في الشمال الشرقي من فلسطين وتقع بين أقضية صفد وعكا والناصره وبيسان، على

طبرية
مدينة
تقع
في الشمال
الشرقي
من فلسطين
بين
أقضية
صفد
وعكا
والناصره
وبيسان

الجانب الغربي من بحيرة طبرية ينتسب إليها جمع من العلماء ويُدعى المنسوب إليها: طبراني، تمييزاً له عن الطبري المنسوب إلى طبرستان.

مولده وسنة ولادته:

ولد بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ستين ومائتين (٢٦٠ هـ)، وكانت أمه عكاوية. وأصله من طبرية الشام.

ولده:

للطبراني - رحمه الله - ابن يُسمى: محمداً، ويكنى أبا ذر، وهي كنية والده أحمد، وهو يروي عن أبي علي الوراق، وأبي عمرو بن حكيم، وعبد الله بن جعفر بانتخاب والده رحمة الله عليه، توفي في رجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وقبره بجانب قبر والده رحمهما الله. روى عنه جماعة من كبار المحدثين كأبي علي الرستاق، وأبي طاهر بن عروة، وأبي أحمد

العطار، وعلي بن أحمد بن مهران، وأبي سعد بن قمجه، وعلي بن الحسين الاسكاف، وعلي بن سعيد البقال، وغيرهم، ومن المتأخرين جماعة.

وله بنت تُسمى: فاطمة، أمها: أسماء بنت أحمد بن محمد بن شذرة الخطيب، وذكر أنها كانت تصوم يوماً وتفطر يوماً، وكانت لا تنام من الليل إلا قليلاً رحمهما الله ولها عقب.

أول سماع له في طلب الحديث وارتحاله في طلبه:

وكان أول سماعه للحديث في سنة ثلاث وسبعين، وارتحل به أبوه، وحرص عليه، فإنه كان صاحب حديث من أصحاب دحيم، فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين ومائتين، فبقي في الارتحال ولقي الرجال ستة عشر عاماً.

ولد
بمدينة
عكا
وكانت
أمه
عكاوية
وأصله
من
طبرية
الشام

وكتب عمّن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنّف، وعمّر دهرًا طويلًا، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار، فقد حدّث عن ألف شيخ أو يزيدون.

الذين لقيهم وسمع منهم وروى عنهم:

ممنّ لقيهم - رحمه الله - : أصحاب يزيد بن هارون، وروح بن عباد، وأبي عاصم، وحجاج بن محمد، وعبد الرزاق.

وسمع من: هاشم بن مرثد الطبراني، وأحمد بن مسعود الخياط - حدّثه ببيت المقدس في سنة أربع وسبعين، عن عمرو بن أبي سلمة التنيسي - وسمع بطبرية من: أحمد بن عبد الله اللحياني - صاحب آدم -، وبقيسارية من: عمرو بن ثور، وإبراهيم بن أبي سفيان - صاحبي الفريابي -.

وروى عن: أبي زرعة الدمشقي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، وإدريس بن جعفر العطار، وبشر بن موسى، وحفص بن عمر سنجة، وعلي بن عبد العزيز البغوي المجاور، ومقدام بن داود الرعيني، ويحيى بن أيوب العلاف، وعبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وأحمد بن عبد الوهاب الحوطي، وأحمد بن إبراهيم بن فيل البالسي، وأحمد بن إبراهيم البصري، وأحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط الأشجعي - صاحب النسخة الموضوعة -، وأحمد بن إسحاق الخشاب، وأحمد بن داود البصري ثم المكي، وأحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة البتليهي، وأحمد بن خليل الحلبي - لقيه بها في سنة ثمان وسبعين ومائتين - ومن: أحمد بن زياد الرقي الحذاء - صاحب حجاج الأعور -، وإبراهيم بن سويد الشبامي، وإبراهيم بن محمد بن بزة الصنعاني، والحسن بن عبد الأعلى البوسي أصحاب عبد الرزاق، وبكر بن سهل الدمياطي، وحبوش بن رزق الله المصري، وأبي الزبعاة روح بن الفرج القطان، والعباس بن الفضل الأسفاطي،

عمّر دهرًا
طويلاً
وازدحم
عليه
المحدثون فقد
حدّث
عن ألف
شيخ
أو يزيدون

وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن الحسين المصيبي، وعبد الرحيم بن عبد الله البرقي، - سمع منه السيرة لكنه وهم، وسماه أحمد باسم أخيه -، وعلي بن عبد الصمد ما غمه، وأبي مسلم الكجي، وإسحاق بن إبراهيم المصري القطان، وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وجعفر بن محمد الرملي القلانسي، والحسن بن سهل المجوز، وزكريا بن حمدويه الصفار، وعثمان بن عمر الضبي، ومحمد بن محمد التمار، ومحمد بن يحيى بن المنذر القزاز - صاحب سعيد بن عامر الضبي -، ومحمد بن زكريا الغلابي، ومحمد بن علي الصائغ، وأبي علاثة محمد بن عمرو بن خالد الحراني، ومحمد بن أسد بن يزيد الأصبهاني - حدثه عن أبي داود الطيالسي -، ومحمد بن معاذ دران، وأبي عبد الرحمن النسائي، وعبيد الله بن رماحس، وهارون بن ملول.

تلاميذه والرحلة إليه ومن حدث عنه:

لقد حدث عن الطبراني خلق كثير، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار، فقد حدث عنه: أبو خليفة الجمحي، والحافظ ابن عقدة - وهما من شيوخه -، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الصحاف، وابن مندة، وأبو بكر بن مردويه، وأبو عمر محمد بن الحسين البسطامي، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو الفضل محمد بن أحمد الجارودي، وأبو سعيد النقاش، وأبو بكر بن أبي علي التكواني، وأحمد بن عبد الرحمن الأزدي، والحسين بن أحمد بن المرزبان، وأبو الحسين بن فاذشاه، وأبو سعد عبد الرحمن بن أحمد الصفار، ومعمربن أحمد بن زياد، وأبو بكر محمد بن عبد الله الرباطي، والفضل بن عبيد الله بن شهريار، وعبد الواحد بن أحمد الباطرقاني، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، وعلي بن يحيى بن عبدكويه، ومحمد بن عبد الله بن شمة، وبشر بن محمد الميهني.

حدث
عن
الطبراني
خلق
كثير
وازدحم
عليه
المحدثون
ورحلوا
إليه
من
الأقطار

آخر من روى عنه:

وكان آخر من روى عنه موتاً: أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة التاجر، ثم عاش بعده أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر الذكواني يروي عن الطبراني بالإجازة، فمات سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين وأربع مائة، ومات ابن ريذة عام أربعين.

كثرة حديثه والرغبة في الرواية عنه:

وقال أبو بكر بن أبي علي: سئل أبي، أبا القاسم الطبراني عن كثرة حديثه، فقال: كنت أنام على البواري^(١)، ثلاثين سنة.

ولم يزل حديث الطبراني رائجاً، نافقاً، مرغوباً فيه، ولا سيما في زمان صاحبه ابن ريذة، فقد سمع منه خلائق، وكتب السلفي عن نحو مائة نفس منهم ومن أصحاب ابن فاذاشاه، وكتب أبو موسى المديني، وأبو العلاء الهمداني عن عدة من بقاياهم.

وازدحم الخلق على خاتمتهم فاطمة الجوزدانية والتي توفيت في سنة أربع وعشرين وخمس مائة، وارتحل ابن خليل والضياء، وأولاد الحافظ عبد الغني وعدة من المحدثين في طلب حديث الطبراني، واستجازوا من بقايا المشيخة لأقاربهم وصغارهم، وجلبوه إلى الشام، ورووه، ونشروه، ثم سمعه بالإجازة العالية ابن جعوان، والحارثي، والمزي، وابن سامة، والبرزالي، وأقرانهم. قال الذهبي: وأعلى ما بقي من ذلك بالاتصال (معجمه الصغير)، فلا تفوتوه - رحمكم الله - .

عقيدته ومنهجه:

كان رحمه الله على عقيدة أهل الحديث، متبعاً للأثر والسلف الصالح، فمن كتب الحديث المسندة في العقيدة كتابه: (شعر كتاب السنة) وهو

كان
رحمه الله
على
عقيدة
أهل
الحديث
متبعاً
للأثر
والسلف
الصالح

كتاب من كتب العقيدة الصحيحة على منهج أهل السنة والسلف، ورغم فقدان هذا الكتاب، فقد اطلع عليه العلماء قبلنا، وهو كتاب كبير.

قال الحافظ ابن منده في ترجمة الحافظ الطبراني: «شعر كتاب السنة عشرة أجزاء».

وأثنى عليه بعض أهل العلم فمنهم:

ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل): ومن تدبر الكتب المصنفة في آثار الصحابة والتابعين، بل المصنفة في السنة، مثل «كتاب السنة والرد على الجهمية» للأثرم ولعبد الله بن أحمد... وشعر أبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الأصبهاني.... وأضعاف هؤلاء رأى في ذلك من الآثار الثابتة المتواترة عن الصحابة والتابعين ما يعلم منه بالاضطرار أن الصحابة والتابعين كانوا يقولون بما يوافق مقتضى هذه ومدلولها، وأنهم كانوا على قول أهل الإثبات المثبتين لعلو الله نفسه على خلقه، المثبتين لرؤيته، القائلين بأن القرآن كلامه ليس بمخلوق بائن عنه، وهذا يصير دليلاً من وجهين؛

قال شيخ
الإسلام ابن
تيمية: من
تدبر الكتب
المصنفة في
آثار الصحابة
والتابعين
يعلم أنهم
كانوا يقولون
بما يوافق
مقتضى هذه
ومدلولها

أحدهما من جهة إجماع السلف؛ فإنه يمتنع أن يجمعوا في الضروع على خطأ، فكيف في الأصول؟ الثاني من جهة أنهم كانوا يقولون بما يوافق مدلول النصوص ومفهومها لا يفهمون منها ما يناقض ذلك. اهـ.

وقال الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغضار): شعر أبو القاسم محدث الدنيا: صنّف الحافظ الكبير أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الشاميّ نزيل أصبهان في كتاب السنة له باب ما جاء في استواء الله تعالى على عرشه، بائن من خلقه، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيليّ، قلت: يا رسول الله أين كان ربنا؟ وحديث عبد الله بن خليفة، عن عمر، في علو الربّ على عرشه، وحديث الأوعال، وأنّ العرش على ظهورهنّ، وأنّ الله فوقه.»

وقال ابن كثير في (تفسير ابن كثير): «وقد قال الحافظ أبو القاسم

الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا، عز وجل، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه .

قوة ملكة حفظه:

لقد كانت للإمام الطبراني ذاكرة قوية، من ذلك ما ذكره إبراهيم بن يحيى بن منده، إذ قال: قدم أبو القاسم الطبراني أصبهان أول كربة، فكنت أماشيهِ يوماً فسألته عن سنِّه فأخبرني به، ثم غاب وعاد في القدمة الثانية بعد أربع عشرة سنة، فكنت أماشيهِ يوماً إلى المدينة فسألته في ميدان فاخر عن مولده، فقال: يا أبا إسحاق أخذت في مثل هذا! فقلت: أيش عملت؟ فقال: أليس قد سألتني عن مولدي في تلك السنة في قدمتي الأولى بباب دار محمد بن مقرر فأخبرتكَ به!؟

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى كثير من العلماء على محدث الدنيا الطبراني رحمه الله، فمن ذلك:

ما نقله أبو نعيم الحافظ، إذ قال: قدم الطبراني أصبهان سنة تسعين ومائتين، ثم خرج، ثم قدمها فأقام بها محدثاً ستين سنة.

وقال: سمعت أحمد بن بندار يقول: دخلت العسكر سنة ثمان وثمانين ومائتين، فحضرت مجلس عبدان، وخرج ليملّي، فجعل المستملي يقول له: إن رأيت أن تملي؟ فيقول: حتى يحضر الطبراني.

قال: فأقبل أبو القاسم بعد ساعة متزراً بإزار مرتدياً بأخر، ومعه أجزاء، وقد تبعه نحواً من عشرين نفساً من الغرباء من بلدان شتى حتى يفيدهم الحديث.

لقد
كانت
لإمام
الطبراني
ذاكرة
قوية
ما ذكره
إبراهيم
بن يحيى
بن منده

قال أبو بكر بن مردويه: لما قدم الطبراني قَدَمته الثانية سنة عشر وثلاث مائة إلى أصبهان، قَبَله أبو علي أحمد بن محمد بن رستم العامل، وضمَّه إليه، وأنزله المدينة، وأحسن معونته، وجعل له معلوماً من دار الخراج فكان يقبضه إلى أن مات.

ومنه ما ذكره أبو جعفر محمد بن عبد الله بن الهيثم المعروف بابن أبي السري قال: سمعت أبا العباس بن عقدة يقول: في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وأنا أسمع منه فضائل أهل البيت، فسألني عن أبي القاسم الطبراني، فقال: تعرفه، قلت: لا، قال: يا سبحان الله يكون مثل هذا الرجل ببلدكم ولا تسمعون منه، ثم قال: سمعت أنا وإياه من مشايخ جلة وسمع مني وسمعت منه ولا أعلمني رأيت أحداً أعرف بالحديث ولا أحفظ للأسانيد منه.

وقال محمد بن عمر الجرواني الواعظ: سمعت غير واحد من العلماء يقول: كان الطبراني في الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة.

قال عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده: قال أبي: سمعت من الطبراني أربعة آلاف حديث بالشام.

قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألد من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا سليمان بن أيوب، وحدثت بحديث، فقال الطبراني: مني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو فيه إسنادك، فخلج الجعابي، فوددت أن الوزارة لم تكن، وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه.

قال
ابن
أبي
السري
ولا رأيت
أحداً
أعرف
بالحديث
ولا أحفظ
للأسانيد
منه

ويقول إسماعيل بن عباد: قد وجدنا في معجم الطبراني ما فقدنا في سائر البلدان بأسانيد ليس فيها إسناد.

قال أبو بكر بن أبي علي المعدل: الطبراني أشهر من أن يدل على فضله وعلمه، كان واسع العلم كثير التصانيف، وقيل: ذهبت عيناه في آخر أيامه، فكان يقول: الزنادقة سحرتني.

وقال أبو العباس الشيرازي: كتبت عن الطبراني ثلاثمائة ألف حديث وهو ثقة.

قال ابن أبي يعلى: كان - أي الطبراني - أحد الأئمة والحفاظ في علم الحديث.

وقال أبو سعد السمعاني عن الطبراني: كان ثقةً حافظاً.

قال الذهبي: الحافظ مسند العصر أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بأصبهان ثقة.

قال الذهبي في الميزان: لا ينكر له التفرّد في سعة ما روى.

وقال: إلى الطبراني المنتهى في كثرة الحديث وعلوه.

حسن رده في معاملة الناس:

قال أبو زكريا يحيى بن مندة: سمعت مشايخنا ممن يعتمد عليهم يقولون: أملى أبو القاسم الطبراني حديث عكرمة في الرؤية^(١)، فأنكر عليه ابن طباطبا العلوي، ورماه بداوة كانت بين يديه، فلما رأى الطبراني ذلك واجهه بكلام، وقال في أثناء كلامه: ما تسكتون وتشتغلون بما أنتم فيه حتى لا يُذكر ما جرى يوم الحرة. فلما سمع ذلك ابن طباطبا، قام واعتذر إليه وندم.

خُلُقُه:

ومن خصائصه وفضائله رحمة الله عليه؛ ترك التكبر في طلب العلم مع جلال قدره ووفور علمه وتوقير مشائخه له، وبتبجيله إياه احترامهم له في كل المحافل والمجالس.

قال
أبو العباس
الشيرازي:
كتبت
عن
الطبراني
ثلاثمائة
ألف
حديث
وهو
ثقة

قال الذهبي: قد بلغني أن: أبا القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني رحمه الله حضر يوماً مجلس القاضي أبي أحمد العسال فاستدناه، فسُرب بذلك، ويقولون: أن أبا أحمد العسال قال: إذا سمعت أنا من الطبراني عشرين ألف حديث وسمع منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألف حديث وأبو الشيخ أربعين ألف حديث، كملنا.

قال الذهبي: هؤلاء كانوا شيوخ أصبهان مع الطبراني.

فقد قال ابن مندة: بلغني أن الطبراني كان حسن المشاهدة، طيب المحاضرة، قرأ عليه يوماً أبو طاهر بن لوقا حديث: كان يغسل حصى جماره^(٣) فصحّفه، وقال: خصي حماره، فقال: ما أراد بذلك يا أبا طاهر. قال: التواضع، وكان هذا كالمغفل.
قال له الطبراني يوماً: أنت ولدي، قال: وإياك يا أبا القاسم، يعني: وأنت.

قال ابن مندة: ووجدت عن أحمد بن جعفر الفقيه، أخبرنا أبو عمر بن عبد الوهاب السلمي، قال: سمعت أبا القاسم الطبراني رحمه الله يقول لما قدم أبو علي بن رستم من

قال
ابن
مندة:
ما
أحسن
سيرته
وطريقته
في
هجران
أهل
البدع

فارس دخلت عليه، فدخل عليه بعض الكتاب فصب على رجله خمسمائة درهم فلما خرج قال ارفع يا أبا القاسم هذا فرفعته، فجعلت أحدث إلى أن دخلت أم عدنان ابنته فصبت على رجله خمسمائة درهم، فقمت فقال إلى أين يا أبا القاسم، فقلت: قمت لعلك تقول: إنما جلست لهذا، فقال: ارفع هذا أيضاً، فلما كان آخر أمره تكلم في أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ببعض شيء، فخرجت من عنده ولم أعد إليه بعد.

فرحم الله تعالى أبا القاسم الطبراني ما أحسن سيرته وطريقته في هجران أهل البدع فقد هجر أبا علي بن رستم بعد إنعامه عليه لما ظهر منه بعض شيء في الكلام على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

قال له يوماً حسن العطار - تلميذه - يمتحن بصره: كم عدد الجدوع التي في السقف؟

فقال: لا أدري، لكن نقش خاتمي سليمان بن أحمد.
قال الذهبي: هذا قاله على سبيل الدعابة.

براءته مما نسبته إليه أهل البدع:

لقد كان الإمام أبا القاسم الطبراني رحمه الله بريئاً مما نسبته إليه أهل البدع والخلاف فقد كان مقتدياً بالأئمة والسلف الصالحين قبله. وكان المبتدعة والمخالفين له يتلهفون إلى علو إسناده وكثرة أحاديثه، فقد سمعوا منه ورووا عنه، ومع هذا كانوا يطعنون عليه ويزعمون أنه كان حشويًا!!

شبهه حول الإمام الطبراني ورد العلماء عليها:

ذكر بعض العلماء والأئمة شبهها حول الإمام الطبراني، ولكن هذه الشبه والانتقادات لم تكن في محلها:

● فمنها ما ذكره أبو عبد الله الحاكم، قال: وجدت أبا علي النيسابوري الحافظ، سيء الرأي في أبي القاسم اللخمي، فسألته عن السبب، فقال: اجتمعنا على باب أبي خليفة، فذكرت له طرق حديث (أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء^(٤))، فقلت له: يحفظ شعبة عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاووس، عن ابن عباس؟ قال: بلى، رواه غندر، وابن أبي عدي. قلت: من عنهما؟

قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عنهما، فاتهمته إذ ذاك، فإنه ما حدث به غير عثمان بن عمر عن شعبة.
قال الذهبي تعقيبا: هذا تعنت على حافظ حجة.

وقال ابن حجر العسقلاني: وقد تتبع ذلك أبو نعيم على أبي علي

كان
بريئاً
مما نسبته
إليه
أهل
البدع
والخلاف
فقد
كان
مقتدياً
بالأئمة
والسلف
الصالحين
قبله

وروى حديث غندر عن أبي علي بن الصواف عن عبد الله بن أحمد كما قال الطبراني، وبرىء الطبراني من عهده.

وقال الحافظ الضياء في الجزء الذي جمعه في الذب عن الطبراني: وهم الطبراني فظن أنه سئل عن رواية شعبة عن عمرو بن دينار عن طاوس، فهي التي عند غندر عن شعبة وهي التي رواها بن الصواف عن عبد الله بن أحمد، والمستول عنها: رواية شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس، فهي التي انضرد بها عثمان بن عمر، قال: والدليل على أنه لم يسمعه أنه ساق الطريقتين في كتابه الذي جمع فيه حديث شعبة فأورد إحداهما في ترجمة شعبة عن عمرو بن دينار عن طاوس من رواية غندر عن شعبة، وأورد الأخرى في ترجمة شعبة عن عبد الملك بن ميسرة من رواية عثمان بن عمر عن شعبة، ثم قال الضياء: لو كان كل من وهم في حديث أو حديثين اتهم لكان هذا لا يسلم منه أحد.

● وقال أحمد الباطرقاني: دخل ابن مردويه بيت الطبراني وأنا معه، وذلك بعد وفاة ابنه أبي ذر لبيع كتب الطبراني، فرأى أجزاء الأوائل بها فاغتم لذلك، وسب الطبراني، وكان سيء الرأي فيه.

قال

الضياء:

لو كان

كل من وهم

في حديث

أوحديثين

اتهم لكان

هذا لا يسلم

منه أحد

وقال سليمان بن إبراهيم الحافظ: كان ابن مردويه في قلبه شيء على الطبراني، فتلفظ بكلام، فقال له أبو نعيم: كم كتبت يا أبا بكر عنه؟ فأشار إلى حزم^(٥)، فقال: ومن رأيت مثله - أي مثل الطبراني -؟ فلم يقل شيئاً.

ورغم تحامل ابن مردويه على الطبراني فقد قال الحافظ الضياء: ذكر ابن مردويه في (تأريخه) لأصبهان جماعة، وضعفهم، وذكر الطبراني فلم يضعفه، فلو كان عنده ضعيفا لضعفه. قال الذهبي معقباً: فدل على أنه تبين له أنه صدوق.

● قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: دخلت بغداد، وتطلبت حديث إدريس بن جعفر العطار، عن يزيد بن هارون، وروح، فلم أجد إلا أحاديث معدودة، وقد روى الطبراني، عن إدريس، عن يزيد كثيرا.

قال الذهبي معلقاً: هذا لا يدل على شيء، فإن البغاددة كانوا عن إدريس لئينه، وظفر به الطبراني فاغتنم علو إسناده، وأكثر عنه، واعتنى بأمره.

● قال ابن حجر العسقلاني: وقد عاب عليه إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي جمعه الأحاديث بالإفرد مع ما فيها من النكارة الشديدة والموضوعات وفي بعضها القدح في كثير من القدماء من الصحابة وغيرهم، وهذا أمر لا يختص به الطبراني، فلا معنى لإفراجه اليوم بل أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلم جرا إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برؤوا من عهدته والله أعلم.

● ومما عيب عليه وهُمّه في روايته عن أحمد بن عبد الله البرقي فسماه بدلاً من أخيه عبد الرحيم.

فلم يذكر الطبراني عبد الرحيم باسمه هذا في (معجمه)، بل وهم رحمه الله، وسماه بأحمد في حرف الألف.

وقد سئل الحافظ أبو العباس أحمد بن منصور الشيرازي عن الطبراني، فقال: كتبت عنه ثلاث مائة ألف حديث، ثم قال: وهو ثقة، إلا أنه كتب عن شيخ بمصر، وكانا أخوين، وغلط في اسمه، يعني: ابني البرقي.

قال ابن حجر العسقلاني: قد ذكر الطبراني في مسند الشاميين له ما يدل على أنه كان يشك في اسم عبد الرحيم، فقال في ترجمة محمد ابن مهاجر: ثنا بن البرقي وظن اسم عبد الرحيم فنذكر حديثا.

ومما عيب
عليه وهُمّه
في روايته
عن أحمد بن
عبد الله
البرقي
فسماه
بدلاً من
أخيه عبد
الرحيم

البلاد التي سمع بها:

سمع رحمه الله: بالحرمين، واليمن، ومدائن الشام ومصر، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وأصبهان، وخوزستان، وغير ذلك، ثم استوطن أصبهان، وأقام بها نحواً من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه.

قال الذهبي: وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن، وإلا فلو قصد العراق أولاً لأدرك إسناداً عظيماً.

ذكر ما وجد من تصانيفه رحمه الله:

لقد كتب رحمه الله عن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنف وعمّر دهرًا طويلاً، ولم يزل يكتب حتى كتب عن أقرانه.

ومن توألفه:

كتب
رحمه الله
عن
أقبل وأدبر،
وبرع في
هذا
الشأن،
وجمع
وصنف
وعمّر
دهرًا
طويلاً

- ١- (المعجم الصغير) في سبعة أجزاء، عن كل شيخ حديث، سمعه من أبي ريذة، وأبي بكر بن شمة.
- ٢- (المعجم الكبير) وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رووه، لكن ليس فيه مسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة الكثيرين، في مائتي جزء، سمعه الحداد من أبي بكر بن ريذة عنه.
- ٣- (المعجم الأوسط) على مشايخه الكثيرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد، يكون في أربعة وعشرين جزءاً، سمعه منه أبو نعيم.
- ٤- (مسند العشرة) ثلاثون جزءاً.
- ٥- (مسند الشاميين) عشرة أجزاء.
- ٦- (كتاب النوادر) عشرة أجزاء.
- ٧- (كتاب معرفة الصحابة).

- ٨- (الفوائد) عشرة أجزاء.
- ٩- (مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه).
- ١٠- (مسند عائشة رضي الله تعالى عنها).
- ١١- (مسند أبي ذر الغفاري) جزءان.
- ١٢- (كتاب التفسير).
- ١٣- (كتاب مسانيد تفسير بكر بن سهل).
- ١٤- (كتاب دلائل النبوة) عشرة أجزاء.
- ١٥- كتاب الدعاء (عشرة أجزاء).
- ١٦- (كتاب السنة) عشرة أجزاء.
- ١٧- (كتاب الطوالات) ثلاثة أجزاء.
- ١٨- (كتاب العلم) جزء.
- ١٩- (كتاب الرؤيا) جزء.
- ٢٠- (كتاب الجود والسخاء) جزء، سمعه منه أبو نعيم.
- ٢١- (كتاب الألوية) جزء.
- ٢٢- (كتاب الاوائل) جزء.
- ٢٣- (كتاب الأبواب) جزء.
- ٢٤- (كتاب فضائل شهر رمضان).
- ٢٥- (كتاب الفرائض من السنن المسندة).
- ٢٦- (كتاب فضائل العرب) جزء.
- ٢٧- (كتاب فضائل علي رضي الله تعالى عنه).
- ٢٨- (كتاب بيان كفر من قال بخلق القرآن) جزء.
- ٢٩- (كتاب الرد على المعتزلة) جزء.

- ٣٠- (كتاب الرد على الجهمية).
- ٣١- (كتاب مكارم الاخلاق) جزء.
- ٣٢- (كتاب العزل) جزء.
- ٣٣- (كتاب الصلاة على النبي ﷺ) جزء.
- ٣٤- (كتاب المناسك) سمعه منه أبو نعيم.
- ٣٥- (كتاب كتب النبي ﷺ) جزء.
- ٣٦- (كتاب القراءة خلف الإمام) جزء.
- ٣٧- (كتاب الغسل) جزء.
- ٣٨- (كتاب فضائل العلم واتباع الأثر وذم الرأي وأهله).
- ٣٩- (مقتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه) جزء.
- ٤٠- (حديث شعبة بن الحجاج) خمسة عشر جزءاً، سمعه منه أبو عمر عبد الوهاب.
- ٤١- (حديث الثوري) عشرة أجزاء، سمعه منه أبو نعيم.
- ٤٢- (مسند الأعمش).
- ٤٣- (مسند الأوزاعي).
- ٤٤- (من روى عن الزهري عن أنس) جزء.
- ٤٥- (حديث محمد بن المنكدر عن جابر) جزء.
- ٤٦- (حديث أيوب السخيتاني) عشرة أجزاء.
- ٤٧- (مسند أبي إسحاق السبيعي الهمداني).
- ٤٨- (مسند يحيى بن أبي كثير).
- ٤٩- (مسند مالك بن دينار).
- ٥٠- (مسند الحسن بن أبي الحسن البصري عن أنس).
- ٥١- (مسند حمزة الزيات).

- ٥٢- (مسند مسعر بن كدام).
- ٥٣- (مسند أبي سعد البقال).
- ٥٤- (طرق حديث من كذب علي) جزء.
- ٥٥- (أحاديث بيان بن بشر) جزء.
- ٥٦- (أحاديث من اسمه عباد) جزء.
- ٥٧- (أحاديث النهي عن النوح) جزء.
- ٥٨- (مسند عبد العزيز بن رفيع) جزء.
- ٥٩- (أحاديث محمد بن جحادة) جزء.
- ٦٠- (مسانيد عمر بن عبد العزيز) جزء.
- ٦١- (فضل الإمام أحمد بن حنبل) جزء.
- ٦٢- (أحاديث إدريس الأودي) جزء.
- ٦٣- (أحاديث من اسمه عطاء) جزء.
- ٦٤- (أحاديث أبي غياث روح بن القاسم) جزء.
- ٦٥- (أحاديث في فضائل عكرمة) جزء.
- ٦٦- (أحاديث أمهات رسول الله ﷺ) جزء.
- ٦٧- (مسند عمارة بن غزية) جزء.
- ٦٨- (أحاديث طلحة بن مصرف) جزء.
- ٦٩- (غرائب حديث مالك بن أنس) جزء.
- ٧٠- (أحاديث ضمضم بن زرعة) جزء.
- ٧١- (أحاديث أبان بن تغلب) جزء.
- ٧٢- (أحاديث حريث بن أبي مطر) جزء.
- ٧٣- (وصية النبي لأبي هريرة) جزء.

- ٧٤- (كتاب ذكر الخلافة لأبي بكر وعمر).
- ٧٥- (كتاب فضائل العرب وعثمان وعلي).
- ٧٦- (كتاب جامع صفات النبي ﷺ).
- ٧٧- (كتاب نسب النبي ﷺ وصفة الخلفاء).
- ٧٨- (كتاب أنسابهم وأسمائهم وكناهم).
- ٧٩- (كتاب وصية النبي ﷺ).
- ٨٠- (كتاب لأبي هريرة).
- ٨١- (غزل الخلفاء والأمراء).
- ٨٢- (مسند طلحة بن مصرف الأيامي).
- ٨٣- (مسند أبو حصين عثمان بن عاصم الأسدي).
- ٨٤- (مسند عمار بن أبي معاوية البجلي الدهني).
- ٨٥- (مسند سعيد بن أشوع القاضي).
- ٨٦- (مسند عبد الله بن شبرمة).
- ٨٧- (مسند عاصم بن أبي بهدلة).
- ٨٨- (مسند محمد بن عجلان).
- ٨٩- (مسند حمزة بن جندب بن الزيات).
- ٩٠- (مسند أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري عن أنس).
- ٩١- (مسند عمران بن موسى القبي).
- ٩٢- (مسند الحارث بن يزيد العكلي).
- ٩٣- (مسند مسعر بن كدام).
- ٩٤- (مسند العبادة من أصحاب النبي ﷺ).
- ٩٥- (مسند عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده).

- ٩٦- (مسند أبي أيوب عبد الله بن علي الإفريقي).
- ٩٧- (مسند زافر بن سليمان) وغيرهما.
- ٩٨- (مسانيد أبي يحيى مالك بن دينار الزاهد).
- ٩٩- (أحاديث الأوزاعي وأبي عمرو بن العلاء).
- ١٠٠- (مسند زياد بن أبي زياد الجصاص).
- ١٠١- (مسند الحجاج بن الفرافصة).
- ١٠٢- (مسند هارون بن موسى النحوي).
- ١٠٣- (مسند يونس بن عبيد).
- ١٠٤- (مسند مغيرة بن مقسم الضبي الكوفي).
- ١٠٥- (كتاب الأشربة).
- ١٠٦- (كتاب الطهارة).
- ١٠٧- (كتاب الإمارة).

ولأبي القاسم من التصانيف أشياء سوى ذلك لم يوقف عليها. قال الحافظ يحيى بن منده: وأكثرها مسانيد حفاظ وأعيان لم نرها.

منزلة معجم الطبراني الأوسط عنده:

قال الذهبي: كان الطبراني - فيما بلغنا - يقول عن (الأوسط): هذا الكتاب روعي.

روايته للقراءات:

لقد روى الطبراني القراءات سماعاً من علي بن عبد العزيز البغوي، رواها عنه سماعاً علي بن يحيى بن عبد كوية وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ.

وفاته:

وتوفي رحمه الله في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاث مائة بأصبهان، ودفن يوم الأحد آخر يوم من ذي القعدة إلى جنب حممه بن أبي حممة الدوسي رضي الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ - بباب مدينة جي المعروف بتيره. وقد عاش الطبراني مائة عام وعشرة أشهر، ستين وثلاث مائة منها بأصبهان. وهكذا توفي رحمه الله بعد أن أثرى الأمة الإسلامية بما ألف وصنّف، فقد حفظ حديث رسول الله ﷺ، بما لم يحفظه الكثير من المحدثين والحفاظ. فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

المراجع:

- ١- التحبير في المعجم الكبير للسمعاني.
- ٢- الأنساب للسمعاني.
- ٣- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح.
- ٤- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- ٥- تذكرة الحفاظ للذهبي.
- ٦- ميزان الاعتدال للذهبي.
- ٧- العلوّ للعلي الغضار للذهبي.
- ٨- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن نقطة.
- ٩- جزء فيه ذكر أبي القاسم الطبراني لابن منده.
- ١٠- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى.
- ١١- المعرب للجواليقي.
- ١٢- فتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده الأصبهاني.

- ١٣- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.
- ١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ١٥- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.
- ١٦- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.
- ١٧- طبقات الحفاظ للسيوطي.
- ١٨- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- ١٩- الأعلام للزركلي.

● الهوامش :

- ١- البواري: جمع بارية، وهي الحصير المنسوج، انظر «المعرب» للجواليقي: ص ٩٤.
- ٢- الحديث: (رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ) أخرجه الطبراني (١/٣١٧، رقم ٩٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٦٩)، وقال: وقد جاء الحديث من طرق أخرى، صحح بعضها البخاري والترمذي، وفيها أن ذلك كان رؤيا منامية.
- ٣- الحديث أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٢٧) غير مرفوعا: حدثنا وكيع، عن زمعة، عن ابن طاووس، عن أبيه: (أنه كان يغسل حصي الجمار).
- ٤- أخرجه البخاري (١/٢٨٠، رقم ٧٧٩)، ومسلم (١/٣٥٤، رقم ٤٩٠)، والطبراني (١١/٩، رقم ١٠٨٦١).
- ٥- كأنه يشير إلى قلة ما كتب عنه.

سلسلة بيت المقدس للدراسات



قراءة في كتاب: نابلس.. عُش العلماء

• د. ميثم أحمد الحجي

نابلس.. عُش العلماء وموطن الأصفياء

عن دار الفاروق - الأردن كتاب جديد في طبعته الأولى لعام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م بعنوان: «نابلس ... عُش العلماء وموطن الأصفياء»، مؤلفه الدكتور رأفت محمد رائف المصري، وهو أستاذ في التفسير وعلوم القرآن في جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية، وهو من أبناء فلسطين، وتعد مدينة نابلس التي يكتب عنها موطنه الأصلي

الذي ينتسب إليه.

والكتاب عبارة عن مجلد من القطع المتوسط ويقع في نحو مئتين وستين (٢٦٠) صفحة، وقد طبع طبعة قشبية طرز غلافها الخارجي بصورة تظهر أحد أروقة مساجد مدينة نابلس القديمة والتي كانت تمتلئ بحلقات العلم والعلماء، وكانت ساحاتها مرتعاً لفرع العلم والأدب، فأضفت على الكتاب عمقاً تاريخياً يعود بنا إلى القرون الخيرة التي حملت مشعل الهداية للعالم أجمع.

وقد قدّم له السيد / منيب المصري رجل الأعمال الفلسطيني الشهير - ابن مدينة نابلس - بمقدمة مُلئت رفعة وعراقة في وصف هذه المدينة، والتي قال عنها: «واحدة من أعرق مدن العالم وأكثرها حضوراً عبر التاريخ كله - خاصة -، وأنا نتحدث عن نابلس التاريخ، نابلس العلم، ونابلس الشموخ والإباء والمقاومة عبر كل الأجيال حتى استحققت مسمى «جبل النار» الجدير بمواقفها البطولية الصامدة الذي يميزها بين جميع مدن الدنيا....» إلى آخر ما ذكر.

وقد ذكر المؤلف - حفظه الله - أن من الأسباب التي دفعته للكتابة عن هذه المدينة الفاضلة، أنها مدينته الحبيبة وهي «تلك المدينة المباركة، التي استمدت شيئاً من بركتها بكونها لصيقة مهبط البركات، ومنشر

المدينة
المباركة
استمدت
شيئاً من
بركتها
بكونها
لصيقة
مهبط
البركات
«القدس»

الرحمات: «القدس»، فكانت المدينتان أختين مباركتين، تزهوان بما خرّجته من العلماء العاملين، والساسة الموفقين، والقادة الملمهين، الذين كان لهم من التأثير العظيم في رسم حياة الأمة، وتوجيه نهضتها....» فقد «كانت من أعظم مدن الإسلام، ومحطة علمية بارزة، يشد إليها الطلبة رحالهم، ليجدوا في رحابها ألوان العلوم، وأنواع الفضائل، ومنها يتصدر الكثير من أبنائها - علماء ومتعلمين - ليقضوا على مواقع في صدر الأمة مهمة، ويتصدروا القيادة أو التعليم أو الإمامة أو الإفتاء أو القضاء هنا أو هناك في مدن الإسلام الكبرى، كمكة أو القاهرة أو دمشق....».

وقال أيضاً: «جاءت هذه الدراسة إسهاماً في تثبيت القلوب على الحق المبين، وترسيخاً لحب هذه المدينة في قلوب أبنائها، بإطلاعهم على طرف مما لها من الأهمية، والمكانة العلية، والمنزلة الرفيعة الأبية».

وأضاف: «لقد بات مدار المعركة (مع اليهود) على الثبات، فأیما طرف حظي بزيادة صبر، وكمال صلابة كان له النصر، وتقلد قلادة الفوز، وإنما صنع ثبات شعبنا بطريقتين:

الأول: تقوية العقيدة وزراعة الإيمان في النفوس

والثاني: تعزيز الحب والانتماء للأرض المقدسة، وتعريف دورها ومعالم قدسياتها وفضلها، وتثوير قصص مجدها، وثبات أبطالها، والتعريف التفصيلي بجغرافيتها وتاريخها، حتى تكون في قلوب الجيل الذي لم يرها لكأنه رآها، بل لكأنه ارتشف من معينها، وارتوى من فرات ينابيعها العذبة، وتفضياً ظللال أشجارها الوارفة. فيحمله الحنين على تمنى العودة إلى ما أحب منها، والثبات على الحق المشروع فيها،

الدراسة
إسهاماً
في تثبيت
القلوب على
الحق المبين،
وترسيخاً
لحب هذه
المدينة في
قلوب أبنائها

والتأصل في الدفاع عنها في وجه أعتى العتاة الظلمة، ولله الأمر من قبل ومن بعد ﴿ وَيَوْمَئِذٍ
يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَرَ اللَّهِ يَنْصُرُ... ﴾

وقد حوى الكتاب على ترجمة لأكثر من خمسين عالماً وأديباً ما بين مفسر ومحدث أو فقيه من مختلف مذاهب أهل السنة في القديم والحديث، كل ذلك من أجل تنبيه جيل الشباب المسلم عموماً، والفلسطيني خصوصاً، على مكانة هذه المدينة، وأصالة دورها التاريخي والمعاصر في تقديم العلماء للأمة، ورافد من روافد مخزونها العلمي المليء بالعمالقة الجهابذة الرواد.

وجاء الكتاب في ثلاثة فصول، قسمها المؤلف على النحو التالي:

الفصل الأول: نابلس ... تاريخها وأهميتها:

وقد قسمه في مبحثين رئيسيين، وتحتهما عدة مطالب، تناول فيه أسماء مدينة نابلس
وبحث في أصول تسميتها، من مثل (شكيم، ونابلس، وجبل النار،
ودمشق الصغرى، وعش العلماء)، وذكر من أسباب تسميتها بـ
«نابلس»: «ذلك أنه قد ازدهرت مدينة شكيم في زمن الكنعانيين
ازدهاراً ملحوظاً، حتى غضب عليها الرومان، الذين دمروها وتسع
مدن أخرى يوم احتلوا بلاد الشام، وعرفت هذه المدن في التاريخ
الروماني بـ (ديكا بولس) أي المدن العشر. ويحدثنا التاريخ أن الذي
دمر شكيم هو الإمبراطور الروماني «تيتوس»، وظلت مدمرة إلى
أن أمر الإمبراطور الروماني «فسبسيانوس» بإعادة بنائها، فأطلق
الرومان عليها اسم: «فيلافيانابولس». و(فيلافيا) هو اسم عائلة
الإمبراطور «فسبسيانوس» أي أن اسم المدينة أصبح مدينة «فيلافيا»
الجديد، ومع الأيام لم يعد يذكر اسم العائلة «فيلافيا»، وظل المقطع
الثاني «نيابولس» دارجاً على الألسن، وتغير - كعادة العرب في تغيير
حوى
الكتاب
على ترجمة
لأكثر من
خمسين عالماً
وأديباً ما
بين مفسر
ومحدث
أو فقيهه

تلفظهم ببعض الكلمات- إلى اسمها الحالي: نابلس، وهذا التعليل ما يرجحه المؤلف في سبب التسمية، وإن كان هناك تسميات أخرى ذكرها في موضعها.

ثم تحدث عن تاريخها عبر العصور وأهميتها وكيف أنها مثلت مركز صراع لكل القوى التي مرت على أرض فلسطين المباركة، مروراً بالفتح الثاني لفلسطين على يد القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، حيث كانت مدينة من ضمن المدن التي حررت من يد الصليبيين، فقال: «وفي الموقع الذي انتصر فيه أمر ببناء مسجد هو المسجد الصلاحي نسبة له، ويطلق عليه النابلسيون المسجد الكبير أيضاً، إلا أن الانتصار الحقيقي على الصليبيين قد تم نهائياً عند الموقع الذي أقيم عليه مسجد النصر في باب الساحة. وأقول: إن تحرير القدس والأقصى كان يمر عادة بمحطة معنادة قريية، وهي تحرير نابلس وتطهيرها، لتكون الأخيرة بوابة الفتح المقدسي «تاريخياً».

وتذكر بعض المصادر تقليداً في المساجد النابلسية، فيه أن السيوف التي يحملها أئمة المساجد في خطب الجمعة والأعياد كانت معدنية حتى جامع النصر، كدليل على أن دخول المسلمين لها كان حربياً، أما سيوف المساجد بعد جامع النصر والاتجاه غرباً فهي خشبية كدليل على دخول المسلمين لهذه المدينة سلماً.....

تحرير
القدس
والأقصى
كان يمر
عادة بمحطة
معنادة
قريية،
وهي تحرير
نابلس
وتطهيرها

وهكذا يستمر السرد حتى التاريخ المعاصر، وانتهاءً بالاحتلال الصهيوني الجاثم على صدرها الآن، كل ذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي وثقت لكل مرحلة من هذه المراحل.

ثم عرض لأهميتها الجغرافية التي جعلت منها محط جذب للعلم والعلماء، إذ أن بركة الأرض المقدسة قد شملتها في أشكال متنوعة منها البركة في الخصب والثمر وفي العمل والعلم وفي الجهاد والمقاومة، بل تعدت البركة لتشمل الناس في أطباعها ومعايشها...

ولم يغفل المؤلف الحديث عن دور المدينة الريادي في الجهاد والمقاومة في القديم والحديث «حتى صارت المدينة في العرف الفلسطيني هي المدينة الأشرس في وجه اليهود.... وفي كل ذلك تقدم صفوة أبنائها، وتحملهم نياشين عز وأوسمة بطولة...»

أما الفصل الثاني: فقد خصه للحديث عن «علماء نابلس من المتقدمين»:

فبدأ بذكر الفقهاء يترجم لكل واحد منهم بما وقف عليه من المصادر العلمية بشكل لا يمثل إسهاباً، وإنما يتعرض لأهم المراحل في حياتهم العلمية ونتاجهم وأبرز أعمالهم وصفاتهم، فذكر منهم جمعاً غفيراً، فمن الحنابلة: الإمام ابن مفلح المقدسي، والإمام محمد بن أحمد السفاريني، والإمام ابن الخطاب، والإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي، والإمام مرعي بن يوسف الكرمي وغيرهم، ومن الشافعية: الإمام محمد بن أحمد المجدي، والإمام أحمد بن محمد الباقاني، والإمام نصر بن إبراهيم المقدسي، وغيرهم، ومن الأحناف: ذكر الإمام عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والإمام عبد الغني بن محيي الدين، والإمام الديري، والإمام عبد المنان الخماش وغيرهم الكثير.

ثم عرّج على ذكر المفسرين والمقرئين، فترجم لجملة منهم كأمثال: الإمام عبد الغني النابلسي، والإمام عبدالفتاح التميمي، والإمام شمس الدين محمد بن الشيخ سعيد بن فلاح بن أبي الوحش، وغيرهم. وبعد ذلك أورد التراجع بذكر جملة المحدثين ممن خرجتهم جامعة مدينة نابلس: كأمثال الإمام عبد الغني النابلسي، والإمام أحمد بن عبدالدايم المقدسي، والإمام إسماعيل بن ظفر المنذري، والإمام أبو البقاء خالد بن يوسف زين الدين، وغيرهم من المحدثين.

لم يغفل المؤلف الحديث عن دور المدينة الريادي في الجهاد والمقاومة في القديم والحديث

وختم هذا الباب بالترجمة لبعض الأدباء والشعراء ممن حفلت بهم مدينة نابلس، كأمثال عبدالنبي النابلسي، ومحمد بن أحمد بن سهل الرملي وغيرهم. وكل ذلك في سياق يجعلك تعيش وسط هذه الأجواء العلمية المفعمة بالعز والهمة، ما يزيد الناظر فيها شوقاً إلى عودة هذه الريادة إلى عصرها المزهرة الفائق.

أما الفصل الثالث والأخير: فقد خصصه المؤلف للحديث عن الصروح العلمية في مدينة نابلس، والمعاصرون من علمائها وأدائها:

وابتدأ بذكر الصرح الشامخ فيها في وقتنا الحاضر «جامعة النجاح» ووصف أقسامها العلمية وما تحتوي من دراسات وفنون وأبحاث، وتاريخها الممتد لنحو قرن من الزمان ودورها الريادي للتصدي لحملات التهويد والتشويه للتراث الإسلامي والفلسطيني، حيث تعد الجامعة الأقدم والأكبر في فلسطين، والأغزر في الإنتاج العلمي والبحثي في شتى العلوم.

ثم تطرق بعد ذلك لذكر بيوت العلم وخزائن التراث التي كانت حافلة بالمخطوطات والكتب والمؤلفات في هذه المدينة، وذكر منها الأشهر على مر تاريخ المدينة كبيوت آل الجوهري، وآل صوفان القدومي، وآل الكرمي، وآل السفاريني، وآل هاشم، وآل عاشور، وآل التميمي، وغيرها من البيوت التي كانت حافلة بالعلماء وطلاب العلم يُؤلّون شَطْرَهَا وَيُمَمُّونَ جَهْتَهَا لينهلوا من علومها ويكرعوا من معارفها.

ثم عرّج على ذكر ما تميزت به هذه المدينة في القديم من أنها مازالت بلاد الحنابلة وما اشتهروا به من نشر التوحيد في ربوع الديار النابلسية، وخرج منها الكثير من العلماء الذين سارت بفتواهم الركبان كأمثال الإمام السفاريني، والإمام مرعي الكرمي، والإمام عبدالله صوفان القدومي (ت ١٣٣١هـ) الذي عاصر الإمام السفاريني وأجازه

أردف

التراجم

بذكر

جملة

المحدثين

ممن

خرجتهم

جامعة

مدينة

نابلس

وأثنى عليه، حيث أقام في مدينة نابلس أكثر من خمسة وأربعين سنة صرفها بالتدريس والتعليم والتوجيه وأنشئت لأجله المدرسة الصلاحية الكائنة في الجامع الصلاحي الكبير في نابلس، فشمّر الشيخ عن ساعد الجد والاجتهاد، وصرف نفيس وقته في نفع العباد وطلبة العلم، حتى هرع إليه الطلاب من جميع الجهات، وغيرهم من العلماء. ثم بدأ بالترجمة لأمثال هؤلاء المعاصرين، وعدّ منهم نضراً من المبرزين في العلم والأدب، أبرزهم الإمام عبدالله بن صوفان القدومي المتقدم أنفاً، والشيخ فياض الخياط والشيخ بكر التميمي، ومحمد عزة دروزة وإبراهيم طوقان، وعادل عمر زعيترو وغيرهم الكثير. وفي خاتمة الكتاب قام المؤلف بعمل مسرد يلخص فيه عناصر الكتاب وأهم ما تميزت به هذه المدينة العلمية، وختم كلامه بالقول: «استمر الدور النابلسي في تخريج العلماء والمبدعين حتى يومنا هذا، وما تزال تحتل المدينة (نابلس) المكانة الأرقى بين المدن الفلسطينية في هذا المجال خصوصاً.

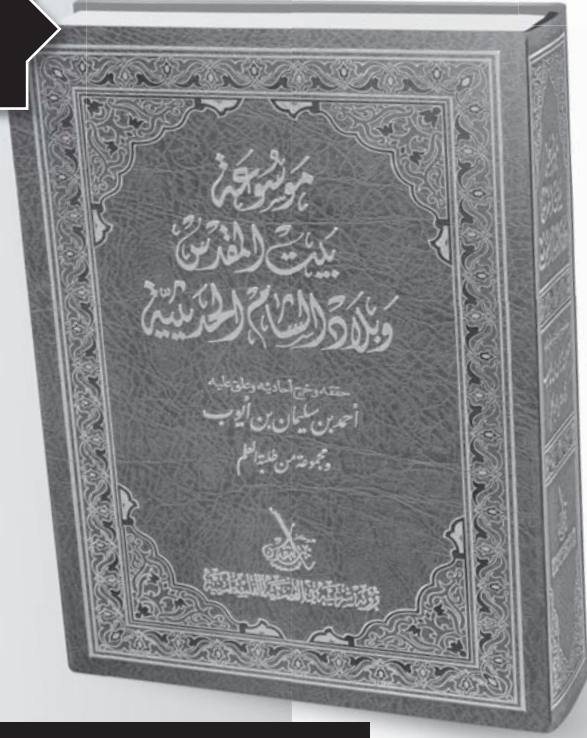
وتجد في آخر الكتاب مسرداً للمراجع جمع ما يربو على الأربعين مرجعاً علمياً هي مصادر توثيق هذا الكتاب. وأخيراً أقول: الكتاب يعتبر بحق تحفة فنية وتاريخية رائعة ومفخرة رائقة لإحدى مدن فلسطين، ورسالة توثيق لمرحلة من الزمن عاشتها مدينة نابلس، وأظهرت شرف العلم والعلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء وأدباء، وسلطت الضوء على النهضة العلمية التي كانت تتبوأها، وحبأها مثل هذا العلم العلامة بالتأريخ والوصف، وصناعة التقدم والحضارة حتى بلغت مراتب المجد، وهي مرشحة لأن تتبوأ الصدارة من جديد إذا ما رُفِع عن كاهلها الاحتلال البغيض.

الكتاب
يعتبر
بحق
تحفة
فنية
وتاريخية
رائعة
ومفخرة
رائقة

سلسلة بيت المقدس للدراسات



صدر
حديثاً



موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة

• لجنة البحث العلمي

موسوعة بيت المقدس
وبلاد الشام الحديثة



موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة

صدر حديثا عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية « موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة » وهي موسوعة فريدة من نوعها ، غزيرة في مادتها ، غنيّة في محتواها ومضمونها .

وهي جهد غير مسبوق ، وحبك موثوق ، علّه يحفظ للأقصى الحقوق .. وهي موسوعة كبيرة ، أبوابها كثيرة ، شملت فنونا غزيرة .

إن هذا السفر المبارك قد شمل الأحاديث الشامية والمقدسية بفضائلها وأحكامها ، صحيحها وسقيمها ، تحقيقا وتخريجا وتعليقا وتبويبا ، كما أنه جلى فضائل بيت المقدس والشام لطلاب العلم والعوام ، وقد استخرجت لآلئه من اللجج فيما يزيد على ثلاث حجج .

وهذه الموسوعة اشتملت على ستة أبواب رئيسة موزعة على النحو التالي : باب الشام ، باب بيت المقدس ، باب الإسراء ، باب الفقه ، باب التفسير ، وباب الفتن .

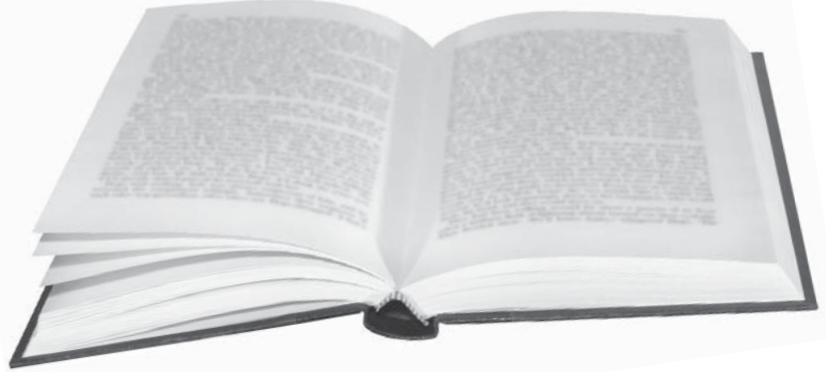
وقد انبرى لهذا العمل الدؤوب « أحمد بن سليمان أيوب » ، وشاركه في إخراج الكتاب والأبواب عصابة من الأفاضل الطلاب .

جهد
غير
مسبوق
وحبك
موثوق
علّه
يحفظ
للأقصى
الحقوق

ولمّا رأى مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية أن تلك الموسوعة بالحق مشفوعة لم يتردد ولم يأل جهداً في إخراجها للنور لما رأى أنها تتحف الجمهور .

وقد تبنى المركز هذا المشروع العلمي القيم حرصاً منه في الحفاظ على التراث الحديثي وتنقيته وذلك ببيان صحيفه من ضعيفه ، ولتكون هذه الموسوعة مرجعاً للباحثين وطلاب العلم والدعاة ، ولإذكاء روح التعلق ببيت المقدس في نفوس المسلمين ، وكل ما سبق أهدافٌ يسعى المركز لتحقيقها منذ ولادته عبر إصداراته المتتالية والمتعاقبة ، ومشاريعه الفريدة الرائدة ، وهذه الموسوعة واحدة من تلك الإصدارات .

تبنى
المركز
هذا
المشروع
العلمي
القيم
حرصاً منه
في الحفاظ
على التراث
الحديثي
وتنقيته



حرصاً

منا على تشجيع البحوث الموثقة لخدمة قضية المسلمين الأولى، فإننا ندعو المختصين والباحثين والمهتمين إلى إثراء السلسلة بإسهاماتهم مع الأخذ في الاعتبار المعايير التالية:

الشروط:

تشتراط سلسلة بيت المقدس للدراسات في البحوث والدراسات المرشحة ما يلي:

- أن يكون موضوع البحث في مجال الدراسة حول فلسطين، والقدس، والمسجد الأقصى، واليهود واليهودية، وأن يكون باللغة العربية.
- ألا يكون البحث قد نشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني من قبل.
- أن تكون الدراسة متماسكة، وبعيدة عن الطرح الأكاديمي الصرف، بحيث تكون ذات صلة بالميدان والواقع ما أمكن.
- ألا تتجاوز الدراسة ٢٠ صفحة (مقاس A4).

ترسل نسخة من الدراسة المقدمة للنشر إلى المشرف العام لسلسلة بيت المقدس

لدراسات على العنوان الإلكتروني التالي:

aqsaonline@aqsaonline.org

والله الموفق،،

